الكلبية الرومانية والنزعة الإنسانية

د. محمد جمال الكيلانى(*)

تمهيد

اجمع المؤرخون أن اسم المدرسة الكلبية مشتق من المكان الذى كان يُدرس فيه أنتيسثينيس مؤسس المدرسة الكلبية في ضاحية كينوسارجيس Kynosarges والتى تعنى الكلب الأبيض، هذا فضلاً عن أن أنتيسثينيس كان يُلقبُ بـ Haplokyon والتى تعنى الكلب البسيط، من حيث إسلوبه البسيط في العيش وتركه للبذخ والترف، حيث كان يتجول في المدينة متكأ على عصاه وحاملاً حقيبته (pera) التى تحتوى على زاده، مفضلاً التنقل والترحال والعيش في الخلاء دون الإقامة في منزل محدد، لاعتقاده أن العالم ملك لكل إنسان.

وتمثل هدف المدرسة الكلبية القديمة من الحياة في أن يعيش الإنسان حياة الفضيلة وفقاً للطبيعة الخيرة. وهذا يعني رفض جميع الرغبات السلطوية مثل تملك القصور الفخمة والذهب واسترقاق الناس والعنف والصراع والأنانية، والدعوة للعيش ككائنات منطقية وكائنات أخلاقية، حيث يمكن للناس أن يكتسبوا السعادة من خلال التدريب الصارم والعيش بطريقة طبيعية.

لقد اعتقدوا أن العالم ينتمي إلى الجميع بالتساوي، وأن المعاناة والآلم ناتجان عن أحكام زائفة حول ما كان يعتقد خطأ أنه ذا قيمة وبسبب العادات والتقاليد التي لا قيمة لها والتي أحاطت بالمجتمع.

وقد احتوت المدرسة الرواقية (المبكرة- والرومانية) الكثير من أفكار المدرسة الكلبية مثل فكرة العيش وفقاً للطبيعة وفكرة المواطنة العالمية؛ وذلك لأن الكلبي كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن العالم كله ملك للجميع، ومع ازدهار الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد، خضعت

(*) أستاذ مساعد الفلسفة اليونانية- كلية الآداب بالإسماعيلية - جامعة قناة السويس.

الكلبية كنشاط فلسفي جاد للانحدار، ولم يكن هناك إحياء للكلبية إلا في العصر الروماني. وانتشرت الكلبية مع ازدهار الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي.

حقيقة لم ينتشر الكلبيين بصورة واضحة في القرنيين الثانى والأول قبل الميلاد، ومع ذلك تم إحياؤها في القرن الأول الميلادي بكامل قوتها ومبادئها، وربما يرجع ذلك إلى ازدهار الإمبراطورية الرومانية وفقدان الاستقلال اليوناني في عهد فيليب المقدوني والإسكندر الأكبر الذى أدى إلى الشعور بالعجز والإحباط بين كثير من الناس، مما سمح للمدرسة الكلبية التى أكدت على الاكتفاء الذاتي والسعادة الداخلية بالازدهار مرة أخرى، فقد انتشر الكلبيون في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية للحث على الفضيلة؛ وتحرير النفس من رغباتها والقيود الاجتماعية التى لا تتفق مع طبيعة الإنسان الفاضل.

الكلبية الجديدة أو الرومانية لم تدعو إلى العزلة عن المجتمع بقدر ما كانت تدعو إلى الانخراط في المجتمع الروماني لتشكيل قيمه ومبادئه طبقاً لتعاليم المدرسة الكلبية المبكرة، فكان الكلبيون يقفون على كل شارع من شوارع روما والمدن الخاضعة للإمبراطورية الرومانية مما دعا بعض السوفسطائيين الجدد يسخرون منهم حيث يقول أيليوس أرستيدس (١١٧-١٨١م): « إنهم يترددون على مداخل البيوت ويتحدثون إلى الخدم لوعظهم، أكثر من الأسياد، يعوضون عن حالتهم المتدنية والرثة باستخدام الوقاحة والتبجح.»

لقد مارس الكلبيون الجدد تأثيرًا كبيرًا على الحياة الاجتماعية والسياسية الرومانية. أبعد من قيمتها الفلسفية والأخلاقية الجوهرية، مثل ديمتريوس الكلبي الذي انتقد أباطرة الرومان أمثال نيرون وفيسباسيان. فإن تأثير هذه االفلسفة الكلبية على الحياة السياسية في أواخر الجمهورية والإمبراطورية الرومانية المبكرة حد من تصرفات وسلوكيات الأباطرة والطبقة العليا من المجتمع الروماني، واعتبرت الكلبية بمثابة هيئات رقابة فلسفية، حيث تم التخلص من الأفكار والممارسات غير الضرورية وغير المقبولة لدى الحكام.

وسوف نوضح من خلال هذا التمهيد أعلام المدرسة الكلبية بمراحلها الثلاث كالتالي:

أولاً: الكلبية الهللينية.

١- أنتيسثينيس الأثيني Antisthenes من حوالى ٤٤٦ ق.م- ٣٦٦ ق.م.

٢- ديوجين السينوبي Diogenes من حوالى ٤٠٤ق.م- ٣٢٣ ق.م.

٣- مونيموس الصراقوصي Monimos حوالى القرن الرابع ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.

٤- أونيسيكريتوس الآيجيني Onesikritos ازدهر عام ٣٣٠ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.

٥- هيجيسياس السينوبي Hegesias of Sinope حوالى ٣٢٥ ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.

٦- كراتيس الطيبي Krates ازدهر حوالى ٣٢٦ ق.م.

٧- هيبارخيا المـاروني Hipparchia ازدهـرت حـوالى ٣٠٠ق.م في مارونيـا وهـي زوجة كراتيس.

٨- ميتروكليـس المـاروني Metrokles ازدهـر حـوالى ٣٠٠ ق.م في مارونيـا وهوأخـو هيبارخيا.

ثانياً: الكلبية الهللينستية:

١- بيون البورينسى Bion of Borysthenes من حوالى ٣٢٥ق.م إلى ٢٥٠ ق.م.

٢- تيمارخوس السكندري Timarchus of Alexandria ازدهر حوالى ٢٧٥ق.م.

٣- ديمتريوس السكندري Demetrius of Alexandria ازدهر حوالى ٢٧٥ق.م.

٤- مينيبوس الفينيقي Menippos ازدهر حوالى ٢٧٥ ق.م.

٥- مينيديموس اللامبساكي Menedemos ازدهر حوالى ٢٥٠ق.م تلميذ كولوتيس الكلبي.

٦- تيليس الميجارى Teles of Megara ازدهر حوالى ٢٣٥ ق.م.

ثالثاً: الكلبية الرومانية:

١- ديميتريوس الكورنثي Demetrius of Corinth من حوالى ١٠ ميلادية- ٨٠ ميلادية.

٢- إيسودورس Isidorus ازدهر حوالى ٦٠ ميلادية.

٣- أجاثوبولوس Agathobulusازدهر حوالى ١٢٥ ميلادية استاذ بيريجنوس الكلبي.

٤- سيكندوس الصامت Secundus the Silentازدهر حوالى ١٣٠ ميلادية.

٥- ديموناكس القبرصى Demonax of Cyprus ازدهر حوالى ١٥٠ميلادية.

٦- أينوموس Oenomaus of Gadara ازدهر حوالى ١٥٠ ميلادية الذى سخر من المعتقدات الدينية الزائفة عند الرومان والتى لا تليق بالآلهة.

٧- باناكراتيس الأثيني Pancrates of Athens ازدهر حوالى ١٦٠ ميلادية.

٨- بيريجنوس Peregrinus Proteus ازدهر حوالى ١٦٥ ميلادية قتل نفسه في الألعاب الأوليمبية.

٩- هيراكليوس Heraclius ازدهر حوالى ٣٦٠ ميلادية الناقد للإمبراطور جوليان.

١٠- هوروس Horus ازدهر حوالى ٣٧٥ ميلادية ملاكم واصبح فيلسوفا كلبيا.

١١- سالوستيوس Sallustius of Emesa من حوالى ٤٣٠م- ٥٠٠ ميلادية أفلاطوني محدث وتحول إلى الكلبية.

أما عن تساؤلات الدراسة فتتمثل فيما يلي:

١- هل الكلبية مدرسة فلسفية نسقية أم مجرد رافد من المدرسة السقراطية؟

٢- لماذا أنصب هدف الكلبية سواء كانت المبكرة أو في مرحلة الإحياء الكلبي الجديد على نقد الملوك والأباطرة أو السياسة بصفة عامة؟

٣- هل تمسك الكلبيون الجدد بكل مبادئ كلبية أنتيستينيس وديوجين السينوبي؟ أم امتزجت بالتيارات الفلسفية المعاصرة لها في المرحلة الرومانية مثل الرواقية الرومانية والسوفسطائية الجديدة والفيثاغورية الجديدة؟

٤- ما هو الهدف من إحياء الكلبية الهللينية في العصر الروماني؟ هل كان لحاجة فلسفية أم لرغبة سياسية؟

٥- ما هو السياج الفكري الذى ربط بين الكلبية الهللينية والكلبية الرومانية؟

وسوف اعتمد على المنهج التاريخي التحليلي المقارن لبيان أعلام الكلبية الرومانية وأهم سماتها مقارنة بالكلبية الهللينية.

أولاً: الكلبية الهللينية

يعتبر أنتستنيس (٤٤٥-٣٦٥ ق.م) مؤسس الكلبية المبكرة أو القديمة من ضمن الفلاسفة الذين أحيوا جانباً واحداً من فلسفة سقراط، شأنه في ذلك شأن إقليدس الميغاري مؤسس المدرسة الميغارية حوالى ٣٩٩ ق.م، وأيضاً أرستبوس القوريناني (٤٣٥ ق.م- ٣٥٦ ق.م) مؤسس المدرسة القورينائية.

ولعل ما أُعجب به أنتستنيس في شخصية سقراط، لم يكن سقراط الفيلسوف ورجل العقل والحكمة، بل سقراط الإنسان الزاهد ذو الشخصية المستقلة، مما جعل أنتستنيس يصعد بهذا الاستقلال السقراطي والاكتفاء الذاتي إلى جعله مثلاً أعلى أو غاية في ذاته، فالفضيلة في نظره هي ببساطة، الاستقلال عن كل متع الدنيا وثرواتها. والواقع أنها كانت مفهوماً سلبياً- فهي تعنى الهجر أو النبذ والتخلي، والتقشف. ومن ثم فقد تغير الجانب السلبي في حياة سقراط على يد أنتستينس إلى هدف إيجابي أو غاية إيجابية.[(١)]

فكان قول أنتستنيس أن الفضيلة أمر قابل للتعلم، وأنها في حد ذاتها كافية لضمان بلوغ السعادة، نظراً لأنها لا تحتاج إلى أي أمر آخر سوى جَلَد سقراط وقوة احتماله، فالفضيلة مسلك يكمن في الأفعال، وأنها ليست بحاجة إلى كم كبير من الأقوال أو من المعارف، وأن الرجل الحكيم مكتف بذاته، لا يسلك في تصرفاته مسلكاً تُمليه عليه القوانين القائمة، بل هو يتصرف وفقاً لما يُمليه عليه قانون الفضيلة، ذلك السلاح الذى يستحيل انتزاعه من الفضلاء.[(٢)]

لقد ذهب الكلبيون القدامى بدء من أنتستنيس وديوجين السينوبي (٤٠٤ق.م- ٣٢٣ ق.م ومونيموس الصراقوصي حوالى القرن الرابع ق.م وأونيسيكريتوس الآيجيني الذى ازدهر عام ٣٣٠ق.م وهيجيسياس السينوبي الذى ازدهرحوالى ٣٢٥ ق.م وكراتيس من طيبة الذى ازدهر حوالى ٣٢٦ ق.م.وزوجته هيبارخيا من مارونيا التى ازدهرت حوالى ٣٠٠ق.م وأخوها ميتروكليس من مارونيا الذى ازدهر حوالى ٣٠٠ ق.م. إلى أن الفضيلة هي وحدها الخير والرذيلة

(١)) فرديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة. م اليونان وروما. ترجمة د، إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة عدد ٤٣٦. القاهرة ٢٠٠٢ص ١٨٠.

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني..ترجمة. إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة محمد حمدى إبراهيم. المركز القومى للترجمة.القاهرة.٢٠٠٨.صص١٦-١٧.

هـي الشر الوحيد ولا شيء عدا هذا يمكن أن يكون خـيراً أو شراً. وكل شيء آخر «غير مهم» والملكيـة واللذة والـثروة والراحة بل الحياة نفسـها لا يجب أن تُعد خـيرات، والفقر والمرض والعبوديـة والموت نفسـه لا يجب أن تُعـد شروراً، وأن تكون حراً ليـس أفضل من أن تكون عبـداً، لأن العبـد إذا كانـت لديه فضيلة فإنه هو نفسـه يكون حراً، و يكون قـد ولد حا كماً وفاضلاً.(١)

ومع ذلك فقد أكدت المدرسـة الكلبية على حرية الإنسان، فعندما سُئل ديوجين السينوبي عن أجمل شيء بين البشر، قال حرية التعبير والكلام(٢)

واعتبرت الكلبية أن الحرية لها ثلاثة جوانب وهي:

١- الحرية الشخصية: المظهر والشكل والمأكل والمشرب.

٢- حريـة التـصرف في السـعي وراء الفضيلـة. والقناعـات الذاتيـة، بمعـنى التحـرر من الالتزامات الاجتماعية والمالية.

٣- حريـة التعبير: بمعـنى حرية الكلام بصراحة، وكان الشـخص الـذى لم يكن معتمداً عـلى المجتمع حـراً في التعبير عن رأيه في نقده، حتى صاغـوا مصطلح Kosmopolites أي المواطنة العالمية، لمواجهة ما سـمي بالمواطنة الآثينية، أو ما سـمي في عهد الكلبية الجديدة بالمواطنة الرومانية، وجاء تأكيد الكلبيون بصفة عامة على أنهم بدلاً من ذلك مواطنين في العالم الطبيعي الأكبر.(٣)

الأمر الذى يُنبئ بمؤثرات بوذية مبكرة على الفكر الكلبي الهلليني.

عـلى أية حال: فقـد كان الكلبيون الهللينيون يسـتخفون عمداً بـكل تعليم وكل تهذيب بـل وبكل حضارة منغلقة إيماناً منهـم بالحضارة العالمية، لقد رتبوا أمرهم على تجاهل، بل وحتى على السـخرية بصراحة من التقاليد والخصال المألوفة، لقد صمموا على أن يتخلوا عنها كأمور

---

(١) وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع. بيروت.١٩٨٧.ص١١٠.

(٢)) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٦٩.ص٦٣.

(3) Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. Akropolis. 2017. p34.

دنيوية ثانوية لا لزوم لها، وتخلوا عن المناصب الدنيوية، بل عن التملك بكل أشكاله - لأن العبودية في نظرهم يمكن تحملها بهدوء كامل وعقل واع، ويمكن تركها مطلقة للعبد ليبقى على تكامله وفضيلته، فصاروا متسولين متجولين يعظون الناس من خداعات وفساد العالم، داعين الناس إلى حياة صالحة بسيطة مفروض أنها طبيعية، فيها ينبغى أن يكون الكل سواء ويكون البشر كله أسرة واحدة.

وفي الوقت الذى تطورت فيه الرواقية، فترت همة الكلبيين، وبعد ذلك أحييت مبادئهم، ولكن في صورة ضعيفة، وبدلاً من أن ينادى الكلبيون برفض صور وتقاليد الحياة، كانوا ينادون بالأحرى إلى ما فيه مواءمة سهلة، وكانوا ينادون بأخوة البشر، ولذا كانت الكتابات المتأخرة للكلبيين تميل إلى أن تكون أقل فلسفة وأقل جدلاً، وإلى أن تكون أكثر وأكثر مزجاً للنصح بالسخرية.(١)

ويبدو للباحث هنا أن ريكس ورنر يتحدث عن مرحلة ثانية من الكلبية اليونانية امتدت من القرن الثالث قبل الميلاد على يد منيبوس وتشهيرات تيلس حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد، واتسمت بكونها حركة ساخرة أكثر من كونها فلسفة، أو جدلاً. فهو لم يتحدث عن الكلبية الرومانية التى بدأت كإحياء للكلبية اليونانية منذ القرن الأول الميلادي وحتى القرن الخامس الميلادي.

ويمكننا حصر أهم مبادئ الكلبية المبكرة فيما يلى:

١- شك الكلبيون في الأفكار النظرية الموجودة من أجل اكتشاف الحقيقة، واعتبروا أن القانون الأخلاقي له الأسبقية على القانون المدني، وذلك لأنه فطري أولي لم يوجده أحد فبالتالى له الأحقية في الاتباع.

٢- رفضوا أي قانون أو عرف ما لم يتفق مع الفضيلة أو يسعى إليها قائلين أن أي شيء فاضل بما يكفى ليقوم به الفرد سراً أو علناً.

٣- نقد الموروث من العادات والتقاليد والقيم وعدم التحرر من الأخذ بالأفضل والأحسن والأكثر كمالاً.

(١) ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق. ترجمة عبد الحميد سليم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٥. ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

٤- نقض الغيبيات الأسطورية النظرية، والتركيز على الأخلاق والتطبيق العملي لأفكارهم، لقد استحدثوا حياة الزهد كأقصر طريق إلى الفضيلة، لكنهم فطنوا إلى أن طريقتهم كانت صعبة لمعظم الناس ليتبعوهم فآثروا الحكيم منهم فقط.

٥- كان الكلبيون رمزيين مع اعتقادهم أن الواقع هو الذى يمكن أن تتدركه الحواس، في حين أن المعانى والمفاهيم لا يمكن رصدها بدون العقل.

٦- استبعد الكلبيون طبقاً لأنستينيس وديوجين الكلبي دراسة الأدب والهندسة والموسيقا وكذلك دراسة الطبيعة، واهتموا بالفضيلة وحدها.

٧- اتسم الكلبيون القدامى بالمهارة اللغوية، والقدرة على الحجج المنطقية في مناقشة ونقد خصومهم، والجرأة في الدفاع عن أنفسهم ومذهبهم لدرجة التهكم الذى وصل لحد السخرية الناقدة.[١]

ويعد أعظم إرث أخلاقي هو ما تركته الكلبية وأثرت من خلاله على الرواقية، حيث رسخ الكلبيون بشدة مسئولية كل فرد ليعيش حياة أخلاقية وأهمية الانضباط الذاتي واللامبالاة في المتعة أو الألم في السعي لتحقيق الفضيلة، وأيضا مبدأ العيش وفقاً للطبيعة والمواطنة العالمية.

ونجد لزاماً علينا إيضاح الفرق بين العيش وفقاً للطبيعة بين الكلبيين والرواقيين.

لقد اختلف التصور الرواقي للعيش وفقاً للطبيعة عن التصور الكلبي القديم في الآتى:

١- الطبيعة عند الكلبيين تعنى بالأحرى البدائي الفطري، فكذلك العيش وفقاً للطبيعة يتضمن السخرية المتعمدة من العادات والتقاليد، وأعراف المجتمعات المتحضرة، وهي سخرية تجسدت في ألوان من السلوك الساخر.

٢- العيش وفقاً للطبيعة وفقاً للرواقيين تعنى العيش وفقاً للمبدأ الفعال النشط في الطبيعة (وحدة الوجود)وهو المبدأ الذى يشارك فيه عن طريق النفس البشرية، ومن ثم فالغاية الأخلاقية- عند الرواقية - تعتمد أساساً على الخضوع للنظام الكونى في العالم.

٣- تطور مصطلح العيش وفقاً للطبيعة عند الرواقيين من غريزة المحافظة على البقاء أي

---

(1) Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D., London Methuen & Co., 1937.p.36.

الكـمال الذاتي والتطور الذاتي؛ إلى أن تميز الإنسـان عن الحيـوان بالعقل، فأصبح مبدأ العيش وفقاً للطبيعة بالنسـبة للإنسـان تعـنى العيش وفقاً للعقل؛ أقصـد العقل البشري والعقل الكلي «زيوس» المبثوث في كل الأشياء حاكم الكون ومرشده.(١)

ومع ذلك فقد كانت هناك في الواقع علاقة مشتركة وثيقة تربط بين المدرستين الفلسفيتين (الكلبية والرواقية)، ومن هنا قالوا إن الكلبية هي الطريق المختصر نحو الفضيلة، وكان هذا هو المسلك ذاته الذى سلكه زينون الرواقي الذى تتلمذ على يد كراتيس الكلبي.(٢)

ثانيا: الكلبية الهللينستية

شاعت النزعة الكلبية بالإسكندرية في الشطر الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وبدت في صـورة تحقير للمتلكات المادية، واعتقادها بأن السـعادة تقوم في بسـاطة العيش التى تتمثل في خشونة الطعام واللبس والاستخفاف بالشعور بالحزن عند الكوارث، وكان الكلبي يرحب بالصدقـات ويتلقاهـا من الأغنيـاء دون أن يحمد لهم صنيعهم! يقول تيلـس إنه يأخذ الصدقة أخذ الشجاع الذى لا يذل ولا يتنزل بنفسه ولا يستدر بشكواه عطفاً!

وهكذا أصبحت النزعة الكلبية الهللينستية - بتأثير من البوذية - نزعة شعبية تبيح التسول والتمتـع بطيبـات الرزق مع الشـعور بعـدم الاهتمام بها، كما انهـم انصرفوا عن حيـاة الزهد إلى طلب اللذة، والإمعان في مباشرتها علانية أمام الناس في غير استحياء.»(٣)

ويقـول فردريك كوبلسـتون: «مال المذهب الكلبي في المرحلة الهللينسـتية إلى أن يفقد طابعه الجاد في التشديد على الاستقلال وقهر الرغبات، والتحمل البدني، والاستسلام للسخرية مـن العـرف والتقاليـد، وأذاع بيون البورينـسي في كتابه خطابـات لاذعة ما سـمي بالكلبية اللذية، مركزاً على السعادة، وتابع تليس الذى علم في ميجارا عام ٢٤٠ ق.م بيون في كتابه أمثال الخطابـات اللاذعة، مجموعة مـن النوادر التى تعالج الظاهر والحقيقـة والغنى والفقر والأباثيا

---

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومى للترجمة. عدد ٤٣٦.القاهرة ٢٠٠٢.صص ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٦٩.ص١١١.

(٣) د/ توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها. دار الثقافة للنشر والتوزيع.القاهرة.١٩٨٥.ص٦٤-ص٦٦.

الكلبيــة، وابتكر مينبوس الجاداري حوالى ٢٥٠ ق.م الهجاء الذى جمع فيه بين الشـعر والنثر- وانتقـد تحت أشـكال مختلفة» الرحلات إلى الجيم» والرسـائل إلى الآلهة- والفلسـفة الطبيعية- والتعليم الخاص.[١]

ونعـرض فيما يلى لأهـم رجال الكلبية الهللينسـتية لمعرفة طبيعة الكلبيـة عندهم والفرق بينهم وبين مؤسسى الكلبية الهللينية:

١- **بيون البورينسى** Bion of Borysthenes:

ولـد بيـون حـوالى ٣٢٥ ق.م في بوريثـين (أولبيـا) وكان شـخصية خادعـة منـح أعـداء الفلسـفة الفرصة لهدم الفلسـفة؛ وكان في الكثير من الأحيان قادر على الانغماس في الغطرسة، ولم يكتسب ثروة، وقال إن البؤساء قد اعتنوا بالممتلكات وكأنها ملك لهم، لكنهم لم يستفيدوا منها أكثر مما لو كانوا ينتمون للآخرين.

أسـاء بيون إلى سقراط وأعلن أنه إذا شعر بالرغبة الجنسية في الفتى القبيادس، وامتنع عن التصويت في الأكليزيا ضده، فهو أحمق يعشـق الصبية ويتدلل لهم، إن سـلوكه لم يكن رائعاً بأي حال من الأحوال، ولم يكن فيلسـوفاً على الإطلاق. وعندما سُـئل بيون ذات مرة عن أكثر من يعانى من القلق: أجاب» الطموح ومالا يملكه الإنسان» قال إن الحكمة تتفوق على الفضائل الأخرى بقدر ما يتفوق البصر على الحواس الأخرى.

اعتاد بيون في البداية إبطال أفكار أفلاطون ومهاجمته وخاصة ما أطلق عليه خرافة المثل الأفلاطونية، على الرغم من أن ديوجين لائرتيوس قد عده من ضمن الأكاديمين.

اهتم بيون بالهندسـة والموسـيقى، وعاش متنقـلاً من مدينة إلى أخـرى، وفي رودس أقنع البحـارة بارتـداء زي طلابه الكلبيين، وحضر بهم في صالة الألعـاب الأوليمبية، حيث كان من عاداته تبنى بعض الشباب لإشباع رغبته في أنه كلبي بارع ومشهور، وأيضاً من أجل حمايته من المهاجمين له، حيث كان شديد الأنانية.هاجم الإيمان بالآلهة من أجل الشهرة، وعند وفاته عام ٢٥٠ ق.م أقنعوه بالتوبة ضد جرائمه ضد الآلهة فرفض.[٢]

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ص٥٤٨.

(2) Diogenes Laertius..Lives of Eminent philosophers. Vol. 4 Translated by. R.D. Hicks, the loeb classical library, william Heinemann, Harvard university press New York, 1979.p46-58.

٢- مينيبوس عبدا من فينيقيا Menippos**:**

كان مينيبـوس عبـدا و ينحدر من أصـول فينيقية اتبـع المذهب الكلبـي وازدهر حوالى ٢٧٥ ق.م لكي يتخلص من بخل سيده.

ولم يكـن مينيبوس شـخصاً جاداً رزيناً بحال مـن الأحوال، إذ كانـت كتبه تزخر بكل مـا هو سـاخر وتحفـل بكثير ممـا هـو مضحـك، وكان يعطـى قروضاً للنـاس طـوال النهار، وأنه بسـبب ذلـك قد حظي بلقب «مقرض المال بالنهار» على سـبيل الكنيـة، وذلك نظراً لأنه كان يتقـاضى فائـدة على هـذه القـروض المقدمة لملاك السـفن، إذ كان يأخـذ منهم ضمانات ورهونات ليضمن رد القروض، وجمع من وراء ذلك أموالاً لا حد لها وثروة طائلة.

لكنـه في خاتمـة المطاف- وقع فريسـة لمؤامرة محكمة الأطراف، جُردَ عـلى أثرها من كل ممتلكاته، فأقدم على شنق نفسه ورحل عن الحياة يأساً وكمداً.(١)

٣- مينيديموس من لامبساكوس Menedemos**:**

كان مينيديموس تلميذاً من تلاميذ كولوتيس من لامبسا كوس ازدهر حوالى ٢٥٠ق.م. اهتم بالمعجـزات والخـوارق إلى أن وصل بـه الأمر إلى أنه تخفى في زي الإيرينيـات «ربات العذاب الثلاث عند اليونان أليكتو- وميجايرا- وتيسيفونى» وراح يمضي في تجواله، وهو يزعم أنه قد وفد من هاديس «العالم الآخر عند اليونان» ليغدو جاسوسـاً على الخطاة والآثمين، وأنه سوف يرتد عائداً أدراجه مرة أخرى ليقدم تقريراً إلى أرواح العالم السفلي عما رآه وعاينه.(٢)

٤- تيليس من ميجارا Teles of Megara**:**

ازدهر تيليس المولود في ميجارا حوالى ٢٣٥ ق.م ونسب ستوبايوس إلى تيليس المؤلفات الآتية:

في المنفـى، الاكتفاء الـذاتي، في الظروف، على التحرر من العاطفة، المتعة ليسـت الهدف من الحياة.

---

(١) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٩٩.صص١٠٣-١٠٤.
R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997.p.165

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ١٠٢.صص ١٠٩-١١٠.

لقد تابع تيليس بيون البورينسي في كتابة الخطابات اللاذعة التى تعالج الظاهر والحقيقة والغنى والفقر، والأباثيا الكلبية.(١)

ويقول تليس في إيهام نفسه والكلبيين بأن الصدقات التى يتقبلونها ليست ذات قيمة مخاطباً رجلاً غنياً: « إنك تسخو لى بالعطاء، وأنا آخذ منك أخذ الشجاع، فلا أجثو لك ولا أهبط بنفسى إلى منزلة حقيرة ولا أشكو.»

وهنا نرى أن المذهب الكلبي في العصر الهللينستي وبصورته الشعبية لا يدعو الناس إلى الامتناع عن التمتع بطيبات هذه الحياة الدنيا، بل يكتفى منهم أن يقفوا إزاءها موقف من لا يأبه لها.(٢)

ربط الكلبيون بين المظهر وحقيقة الإنسان، حيث كان المظهر الرث والعصى و إطلاق اللحية هي العلامات التى يستدل بها الكلبي على أتباعه، الذين رفضوا ملذات الدنيا، بحثاً عن الفضيلة.

ويتضح من العرض السابق أن الكلبية الهللينستية قد أدخلت عليها العديد من المؤثرات الشرقية التى انحرفت بها إلى حد كبير عن المسحة السقراطية الخالصة

ثالثا: الكلبية الرومانية

إن الكلبية كطريقة فلسفية للحياة لا تسعى إلا إلى الانضباط الفلسفي الذى يسعى إلى إصلاح الفلسفة، وبالطبع إصلاح الحياة العقلية؛ إنها طريقة للحياة تهدف إلى إعادة تقديم الفلسفة في حياة الناس، وتعد هذه الطريقة الموجهة نحو التعليم والإصلاح العقلي والمجتمعي والتى تظهر مزيداً من القيمة العامة للمدرسة الكلبية الكلاسيكية.

إن الكلبية الرومانية يمكن أن تعيد التفكير في سطحية وعبثية الحياة العادية للمجتمع الروماني، فالكلبي الهلليني لم يقم إلا بنسخ فضائل منهجية سطحية تعتمد على جرح و إهانة الطغاة، لكنه فشل في وضع مجموعة متماسكة من القيم والتأملات الجادة، ولكن الكلبية الجديدة ستكون مجهوداً مثالياً لإعادة الحياة في الفلسفة، والفلسفة في الحياة.

---

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ص٥٤٨.

(٢) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية.ك١.الفلسفة القديمة. ترجمة د/ زكى نجيب محمود. مراجعة د/ أحمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.٢٠١٠. ص٣٦٤.

وعلى الرغم من أن الكلبية كنظرية يمكن اعتبارها ذات صلة متبادلة سواء في العصر اليوناني أو في العصر الروماني، وتظهرأهميتها بشكل أوضح عندما تتعامل في المجال الأخلاقي، وأيضاً ضرورة إعادة النظر في الكلبية اليونانية، وهو بالكاد ما أظهرته الكلبية الرومانية من حيث التركيز على ثالوث من القيم والممارسة فضلاً عن التفكير النظري والنزعة الإنسانية، وحث ذلك في المجتمع الروماني وفيما يتعلق بالتقاليد والمدارس الفلسفية الأخرى، ولكن كتيار فكري مستقل.(١)

ومن الجدير بالذكر أن الفلسفة الكلبية وجدت الكثير من الدعم بين الطبقات العليا من المجتمع الروماني. هناك قصص من أعضاء مجلس الشيوخ الأثرياء الذين يركزون على السياسة، كانوا يرتدون في نهاية كل أسبوع ثياباً رثة لكي يظهروا للعامة روح التواضع والمؤازرة والبعد عن الترف، وربما كان هناك سبب سياسي وراء اهتمام هؤلاء الأرستقراطيين بالكلبية. استخدمها البعض لإظهار أن الإمبراطورية الرومانية لم تكن دولة فاضلة وأن الجمهورية كانت طريقة أفضل للحكم. لكنهم سيقولون ذلك لأنه في الحقبة الجمهورية (التي سبقت العصر الإمبراطوري)، كانت كل القوى تكمن في الشيوخ بدلاً من الإمبراطور. أراد أعضاء مجلس الشيوخ استجماع قوتهم القديمة، مع استمرارهم في محاولة إعادة تشكيل الجمهورية طوال تاريخ روما.(٢)

أما عن مصادر معرفتنا بالكلبية الرومانية فتنحصر في أربعة مصادر:

أولاً: الرواقية المتأخرة:

كان الرواقيون المتأخرون يكنون للفيلسوف الكلبي احتراماً رفيعاً خاصة سينكا في رسائله الأخلاقية و إعجابه بمؤسس الكلبية الرومانية ديمتريوس الكورنثي، ثم أبيكتيتوس الذى أعجبه أيضاً الزهد وطريقة عيش الكلبي وتصديه لفساد السلطة وسلوكها في الإمبراطورية الرومانية، حيث يقول: « كيف يمكن لإنسان لا يملك شيئاً، عار، بلا مأوى، أو مدفأة، غاية في القذارة، لا عبيد عنده ولا مدينة له، أن يعيش في هدوء؟ لاحظ أن الإله قد بعث إليك بالشخص الذى سيريك عملياً أن هذا أمر يسير. فهو يقول لك «تطلع إلي» فأنا بلا مأوى،

(1) Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. p.46.
(2) Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D. p.66.

ولا مدينـة لى، ولا أملك شـيئاً ولا عبيد عنـدى، وأفترش الأرض، وليسـت لى زوجة، ولا أولاد، وليس لى قصر، بل حسـبي أرضاً وسماءً وعباءة خشنة. ومع ذلك. ما الذى ينقصنى؟ ألم أتخلص مـن الآلم والخوف، ألسـت حراً؟ من منكـم رآنى عاجزاً عن الحصول على مـا أريده أو متردياً فيـما أحـاول أن أتجنبه؟ متى أخطـأت في حق الإله أولإنسـان قط؟ متى وجهـت لومى لأحد قط؟ هل شاهدنى أحد منكم بوجه عبوس؟ وكيف أواجه من تقفون أمامهم في خوف وفزع؟ ألم أواجههـم كـما لو كانوا عبيداً؟ من من الناس إذا ما وقعت عيناه علي لا يشـعر أنه يشـاهد ملكـه وسـيده؟ هو هذا، هذه هي العبارات التى تلائم الكلبـي، هذه هي خاصيته، وهذه هي خطته في الحياة.».[١]

ثم نجد بلوتارخ الخايروني الذى يعد مؤرخاً وفيلسـوفاً مزيج بين الرواقية والفيثاغورية الجديدة والذى أرخ في كتابين له وهما سير عظماء الإغريق والرومانLives، وكتابه عن الأخلاق Moralia لأهمية الكلبية كطريقة وسـلوك أخلاقي مؤثر في الحياة حيث يقول: «نشـأ الكلبي في المدارس الفلسـفية في اليونان القديمة التي اتبعت نهج سـقراط في الحياة، وعلى الرغم من أن اعتبار الكلبية «مدرسة فلسفية»، فإنها تثير صعوبة في مجموعة غير تقليدية للمدارس الفلسفية ومعادية للنظرية، حيث اهتماماتهم الأساسية أخلاقية، لكنهم يتصورون أن الأخلاق طريقة للعيش أكثر من كونها نظرية تحتاج إلى تفسير. وعلى هذا النحو، فإن الكلبية، مدرسة فلسفية يونانيـة قديمة، سـادت المجتمـع الروماني، وتعني نوعًـا من التدريب على الذات أو الممارسـة - ويُعد هذا شعار لها، وكذلك الرواقيون الذين اتبعوهم في طريقة الحياة الساخرة بأنها «اختصار للفضيلـة» عـلى الرغم من أنهم يقترحون في كثير من الأحيان أنهم اكتشـفوا الطريق الأسرع، وربما الأكيد، إلى الحياة الفاضلة، إلا أنهم يدركون صعوبة هذا المسار.».[٢]

---

(1) EPICTETUS. The Discourses as Reported by Arrian, 2 vols., trans. W. Oldfather, London, Heineman, 1926.ch.22.p,148.

ريكس وورنر. فلاسفة الإغريق. ترجمة عبد الحميد سليم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٥.ص ص ٢٤٤-٢٤٥.

(2) Plutarchs, Moralia, vol.2 with An, English translation by. E. c. Babbitt. The loeb classical library.Harvard. University press London.1933.ch.12.

See. Diogenes Laertius..Lives of Eminent philosophers. Vol. 6.ch.104.Vol.7.ch.122.

ثانيا: السوفسطائية الجديدة:

والتى عاصر أتباعها الكلبيين مع إعجابهم بهم وطريقتهم في العيش، فنجد على سبيل المثال فيلوستراتوس السوفسطائي: في القرن الثاني الميلادي الذى عرض في عملين من مؤلفاته لأهم الفلاسفة الكلبيين في المرحلة الرومانية وسير حياتهم وطريقتهم الكلبية، العمل الأول هو عن «حياة السوفسطايين» Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists, وعمله الثاني هوعن حياة أبولونيوس التياني الفيثاغوري المحدث، The life of Apollonius of tyana. ونجد ديوكريسوستوم (القرن الأول الميلادي)الذى عده بعض المؤرخين مبشراً كلبياً، بدء حياته سوفسطائياً، وعند نفيه من الإمبراطور دوميتيان تحول وأصبح كلبياً متجولاً، عرض في خطاباته Discourses لأهم الكلبيين وعلاقته بهم، وكذلك فافورنيوس Favorinus في القرن الثانى الميلادي الذى أعجب بديمتريوس الكلبي.

ثالثا: الفيثاغورية الجديدة:

حيث أصل ووثق أبولونيوس التياني (القرن الأول الميلادي)من خلال علاقته بديمتريوس الكورنثي الكثير عن حياته و إعجابه بفلسفته وقدرته المنطقية الفائقة.

رابعا: من خلال المؤرخ الروماني ديو كاسيو:

الذى أصبح عضواً في مجلس الشيوخ في عصر كومودوس، وا كتسب رضا الإمبراطور سبتميوس سيفيروس وأمره بتسجيل وتوثيق حروبه التى انتصر فيها وكانت نواة كتابه عن تاريخ الرومان Roman History الذى يقع في ثمانين جزءاً.

ونعرض فيما يلى لأهم أتباع الكلبية الجديدة أو الكلبية الرومانية لمعرفة طبيعتها ودورها البارز في المجتمع والثقافة الرومانية:

١- ديمتريوس الكلبي:

ولد ديمتريوس في كورنثا حوالى ١٠/٧ ميلادية وتوفي عام ٩٠ ميلادية، يعد أشهر فلاسفة الكلبية، بل أول من أحياها في العصر الإمبراطوري الروماني، عاش متمسكاً بأفكار وتعاليم المدرسة الكلبية اليونانية، لا علاقة له بالثروة أو السلطة مثل ديوجين السينوبي، ذهب إلى روما في شبابه في زمن الإمبراطور كاليجولا. وكان صديقاً لسينكا، وحظي باحترام المثقفين الرومان.

تمثل حياة ديمتريوس انعكاساً لحالة الإستبداد والظلم الذى تعرض له المفكرين والفلاسفة والمثقفين في عهد الإمبراطورية الرومانية، عندما يجرؤون على التعبير عن آرائهم بحرية منتقدين تصرفات وسلوكيات الأباطرة، وخاصة في عهد الإمبراطور دومتيان.[١]

أظهر ديمتريوس احتقاره للثروات الدنيوية برده على الإمبراطور كاليجولا الذى عرض عليه مائتي ألف هستيريا، لكي لا يندد بأخطائه وتصرفاته السيئة تجاه شعبه قائلاً: «إذا أراد أن يختبرنى، فعليه أن يحاول ذلك من خلال عرض مملكته بأكملها.».

ويقول سينكا في الواجبات: «إن الإمبراطور كاليجولا الذى كان يحكم فيما بين (٣٧م: ٤١م) أراد أن يعطي ديمتريوس مبلغاً من المال ورفض قائلاً: « أيها الآلهة والإلهات ما هو العقل الذى منحتموه لهذا الإمبراطور، إنه يفسد عقله ولا يكرمه، ولا يستطيع عقله هذا أن يهديه إلى الصواب.» ويقول سينكا كان هذا دليلاً على شهامة ديمتريوس ورفضه للثراء على حساب مبادئه إيماناً منه بتعاليم ومبادئ الكلبية، وأيضاً عدم التفريط في عقله أو إهانته وإهانة نفسه بقبوله رشوة الإمبراطور كاليجولا.»[٢]

ويعد موقف ديمتريوس هذا تشبهاً بما فعله أستاذه ديوجين السينوبي عندما أرسل الإسكندر الأكبر رسالة إلى أنتيباتروس الذى كان في مدينة أثينا، عن طريق شخص يدعى أثليوس، وكان ديوجين حاضراً، فقال ابن بائس منحدر من نسل أب بائس، يرسل رسالة إلى مخلوق بائس يحملها تابع بائس! وعندما هدده الملك برديكاس بالقتل إذا لم يأت إلى بلاطه قال ديوجين: «ليس هذا بالأمر الجلل، لأن كلا من الخنفساء والعنكبوت السام بوسعهما اقتراف مثل هذه الفعله! ثم أردف قائلاً: إننى كنت أتوقع أن يكون تهديد برديكاس لى بالأحرى على النحو التالى: إن بوسع برديكاس أن يحيا في سعادة، لو أنه عاش محروماً من صحبتى.».

وعندما شاهد ديوجين السينوبي ذات مرة حراس المعبد يقتادون شخصاً سرق قارورة من ممتلكات المعبد، قال: اللصوص الكبار يقتادون اللص الصغير.

وعندما سُئل ديوجين السينوبي عن الطريقة التى يعامل بها الطاغية ديونيسيوس أصدقاءه،

(1) Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by. J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932.p.9.

(2) SENECA, De Finibus. The loeb classical library.Harvard. University press London.1962.II-11-1.

قـال: مثل أكياس النقود، يعلقها في حزامه حينما تكون زاخرة بالنقود، ويلقى بها بعيداً حينما تكون فارغة.[١]

ويقول سـينكا للوسـيليوس: « عزيزي لوسـيليوس، أسـألك وأتوسـل إليك، من جانبك، أن تدع الحكمة تغرق في روحك، وأن تختبر تقدمك، ليس فقط عن طريق الكلام أو الكتابات، ولكـن بنضجك العقـلي والتحكم في رغباتك، بـل واثبات كلامك عن طريق أفعالك، أسـتمع إلى كلـمات صديقنـا ديميتريـوس الكلبي، بعد أن رأيتـه يتكئ دون أن يرتدي عبـاءة لُتغطيه، وأكـثر من هـذا، إنه ليس فقط معلـم الحقيقة، لكنه شـاهد للحقيقة. « هل يجـوز للرجل أن يحتقـر الثروة عندمـا تتاح له؟ بالطبع لا؛ إنه أيضًا ذو مذاق رائـع، يرى ثروات تتراكم حوله، ولا يرغـب فيهـا ولا تُثير رغبته، وهذا يعني الكثير مثل تفضيله للفقر الذى لا يراه فقراً وسـط هذا الكم الهائل من الثروات.

ويجيب لوسـيليوس «نعم، لكنني لا أعرف»، كما تقول، « كيف سيتحمل ديمتريوس شدة الفقر، إذا وقع فيه فجأة.؟

ويـرد سـينكا: من الـضروري أن أفعل ما قلتُ لك في رسـالة مفادهـا أن الرجال العظماء فعلوا هذا غالبًا. وعليك أن تُعد نفسـك للفقر الحقيقي عن طريق الفقر المتخيل. وسـبب هذا لأننـا غارقون في الرفاهية ونعتبر جميع الواجبات صعبة ومرهقة. عليك أن تدع روحك تنطلق من نومها وتحثها على العيش وفق للطبيعة التى أوضحت لنا أنه لا رجل يولد غنيا.»[٢]

وأيضاً يقول سينكا: « يُعد ديميتريوس أفضل ما عرفت من الفلاسفة الحقيقيين، وأنا في كل رسـائلى أأخذه مثالاً على رفضه للثروة وقوة تحملـه للفقراحتراماً لذاته ولاكتفائه الذاتي، مخلصاً وسـاعياً لحـب الحقيقـة، إن صديقنا ديميتريـوس لا يعيش فقط كما لو أنه تعلـم أن يحتقر كل الأشياء، ولكن كما لو أنه سلمها ليحملها الآخرون.»[٣].

ويقول سـينكا أيضاً: « عزيزي لوسـيليوس، لقد تعلمت من صديقى ديمتريوس أن الحياة الحقـة لا تخلو من العـذاب أو التعذيب، ومع أننى لا أفضل الحرب؛ ولكن إذا حان الوقت الذي

(١) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني..ف٤٤- ٤٥-٥٠- ص٤٥-٤٩.

(2) SENECA, Epistulae Morales, trans. R. Gummere, Vol II, Cambridge MA, Harvard University Press, 1962. XIX - 19-XX -20.

(3) SENECA, Epistulae Morales,LXIII,63.

يجب أن أتحمل العذاب فيه، فإنني أرغب في أن أتعامل معه بشجاعة وشرف.، فإنني أرغب في أن أتعامل مع الجروح والجوع وكل ما تجلبه الحرب. كما أنني لست مجنونا لدرجة أنني أتطلع إلى المرض. ولكن إذا كان لا بد لي من أن أعاني من مرض، فأنا أرغب في ألا أفعل شيئًا يُظهر نقصًا في ضبط النفس، إن المصاعب ليست مرغوبة في ذاتها، ولكن الفضيلة مرغوبة في ذاتها، والتي تمكننا بصبر من تحمل المصاعب.

إن التحمل الشجاع حتى تحت التعذيب أمر مرغوب فيه.

إذا كانت الشجاعة مرغوبة، فكذلك تحمُل التعذيب؛ لأنه جزء من الشجاعة.

إن تحمل التعذيب، التحمل الشجاع ؛يُعد فضيلة في ذاته.

إذا لم يكن لديك أي شيء يحركك ويحثك على العمل، فلا شيء سيختبر قوتك ضد أعداءك.

إذا كنت متكئًا في راحة لا تزعزع، فهذا ليس هدوءًا.(١)

ويقول سينكا طبقاً لصديقه ديمتريوس عن الدور الذى تلعبه الفلسفة في تقدم الإنسان: «إن صديقنا ديمتريوس يؤكد إن علينا أن ندفع عقولنا دفعاً لمواجهة المشكلات، وأن ندعم عقولنا ضد الشرور التى قد تحدثُ بسبب النفي، أو التعذيب، والمرض، والحروب، يجب أن تُدرك أن خوفك من موتك يُشبه خوفك من القيل والقال، ليس ذكي من يخاف من الكلمات، ويؤكد صديقنا ديمتريوس مراراً على أن الرجل الجاهل يُشبه التماثيل التى تُوضع في المعبد، وأن الرجل المجنون هو الذى يخاف من الحكم المُشين الذى يلفق له، إن الموت مفيد للكثيرين، وأنه يحرر الكثير من التعذيب والعوز والأمراض والمعاناة والتعب!».(٢)

ويقول سينكا في رسائله مادحا ديمتريوس: «إنني أعطي نفسى لأصدقائى، ولا أترك صدقاتهم بغض النظر عن بعد المكان والزمان الذين عاشوا فيهما، وقضوا حياتهم، ومنهم ديمتريوس من كورنثا الذى يعد أفضل الرجال الذين أرتدوا الكتان وسعوا لتعليم الناس وهدايتهم، لماذا لا احترم هذا الرجل؟ لقد عرفته وهو يحتقر كل شيء ولا يملك شيئاً، إن من حق أي إنسان أن يحتقر كل شيء، ولا يقدر أي إنسان أن يملك كل شيء، أقصد احتقار

(1) SENECA, Epistulae Morales. LXVII , 67.
(2) SENECA, Epistulae Morales, XC , 90.

الثراء. فها هو صديقنا ديمتر يوس، الذى ضحى بحياته من أجل الحق والحقيقة دون أن يسلم ذاته لأي جائر أو ذي سلطان».[١]

أمـا أبيكتيتـوس (٥٠م-١٣٨م) فكان معـاصراً لديمتر يوس فقد خصـص فصلاً كاملاً عن الكلبية في خطاباته يُظهر فيه الفيلسوف الكلبي على أنه المُبشر بالحقيقة المتعلقة بالخير والشر، وعـلى أنه سـفير الإله، وكان معجبـاً بعدم الاكتراث الكلبـي بالخيرات الخارجيـة، فهذا وضع طبيعي أكثر تعتمد فيه السـعادة على ما هو في قدرتنا. وما هو مسـتقل عن الظروف الخارجية أعنى إرادتنا، وأفكارنا عن الأشـياء واستخدامنا للأفكار، فلو أننا بحثنا عن السعادة في خيرات لا تعتمد تماماً على أنفسـنا في بلوغها أو مواصلة امتلاكها، فإننا نعد أنفسـنا للشقاء. ومن ثم فإن علينا ممارسة الزهد والبحث عن السعادة بداخلنا.

ويبدو لنا أن ديمتر يوس الكلبي الذى كان يكبُرُ أبيكتيتوس في العمر وكان المؤثر الحقيقي في إعجاب أبيكتيتوس بالفلسفة الكلبية، وتبنيه بعض أفكارها.

فنجده يقول: «يستطيع الرجال الأحرار أن يهزموا الدكتاتور يين الأقو ياء مثل ديمتر يوس الكلبي القائل في منفاه Gyarus- إن هذا هو المكان المفضل إلي، ذلك هو المكان الذى لا يمنعنى فيه أحد من العيش، وذلك لأن الأرض ملك للجميع، وهذا هو ثوبي الأخير.. وجسدى المسكين المبتلى لا لأحد سلطان عليه. وكان هذا هو السبب في أن ديمتر يوس قال لنيرون: « أنت تهددنى بالموت، لكن الطبيعة تهددك.».[٢]

وأكـد أبيكتيتـوس في خطاباته أن ديمتر يوس الكلبي هو القائل لنـيرون: « إنني أفضل أن أموت اليوم أفضل من النفي إلى الغد.»

أمـا فافورنيـوس Favorinus (٨٠م-١٦٠م) السوفسـطائي المحـدث فقد مـدح ديمتر يوس قائـلاً: «لقـد تم نفـي ديمتر يـوس الكلبـي في المـرة الأولى مـن قبـل تيجلينـوس Tigellinus (رئيـس الشرطة والـذراع التنفيذي للإمبراطور نيرون في عام ٦٢) بسـبب تعليقاته السـاخرة مـن النظام الإمبراطوري، عندما افتتح نيرون صالة الألعاب الرياضية. حيث انتقد ديمتر يوس الحمامات الشـهيرة وصالة الألعاب الرياضية التى افتتحها نيرون عام ٦١م ثم انهارت عام ٦٢م

(1) SENECA, Epistulae Morales, lxiii. p 427.

(2) Epictetus, the Discourses as Reported by Arrian, The Manual, and Fragments (2 Vols.), Cambridge London: Harvard University Press, 1949.ch1.21-25.

بسـبب الأمطـار الغزيرة وقتهـا، ونددد ديمتريوس بفسـاد الإمبراطور ورجالـه في ضياع أموال الشعب والدولة، ومع ذلك واصل ديمتريوس العيش في أثينا بشجاعة ولم يخف من بطش نيرون إلى أن تم نفيه في نفس العام.».[1]

وحدثنـا فيلوسـتراتوس في كتابـه حياة أبولونيوس عـن العلاقة الوطيـدة التى ربطت بين كل مـن ديمتريـوس الكلبي وأبولونيـوس التيانى حيث يقـول: «انجذب ديمتريـوس وأعجب بأبولونيـوس، حيث حضر محاكمـة أبولونيوس، غير أن ديمتريوس لم يفلـت بالكاد من مخاطر الإمبراطور نيرون الذى يملك الحياة والموت (كما اشتهر بين رعيته) بإبعاده من روما.

ويعطينـا فيلوسـتراتوس سـبباً لمـاذا لم يحكـم الإمبراطـور نيرون عـلى ديمتريوس بالإعدام حيث يقول: « هؤلاء هم الكلبيون الذين يتشـوقون للموت، لأنهم لا يحصلون عـلى الخير من هذه الحياة ولا يريدونـه، ولا يريدون ملذات الحياة؛ وبالتالى لا ينتظرون الموت ليأتى من نفسـه، مع رفضهم لحرمة الإنتحار، ولكنهم يحاولون منذ ديوجين الكلبي وحتى ديمتريوس الكلبـي انتقادات الملوك والأباطرة بجثارة واسـتفزاز من هم يحملون السيف.».

وهناك قصة رواها فيلوستراتوس عن علاقة ديمتريوس بموسنيوس روفوس سيد أبيكتيتوس الفيلسـوف الرواقي بعد مؤامرة بيسـو ضد نيرون ٦٥-٦٦م حيث اضطر سـينكا إلى الانتحار هو وزوجته بومبيا بولينا وابن أخته لوكانوس، ولنفس السـبب تم طرد ديمتريوس وموسـنيوس روفوس من روما وخاصة الفلاسفة الرواقيين.

حيـث قال ديمتريوس أنه نفي مع موسـنيوس روفـوس وكانا في برزخ واحـد (كان نظام النفـي عنـد الرومان يماثـل الحبس في غـرف تحت الأرض يقومـون بحفرها) وأمـروا بالحفر، وكانت أقوال موسـنيوس روفوس كثيرة ومذهلة، وكان حديثه يحث على الحرية دون لامبالاة من ديمتريوس الكلبي الذى كان يتأمل في طبيعة الروح وفصل الروح عن الجسد.

قال ديميتريوس إنه وقع مع موسـونيوس في البرزخ، حيث تم تقييده بالسلاسـل؛ وقال إنه وجه إليه تعازيه قدر استطاعته، لكن موسونيوس أخذ يحفر في الأرض بقوة، ثم نظر إلى أعلى،

(1) Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists, With English translation. By. Wilmer Cave Wright. London.William Heinemann, press. (MCMxxii)1922. p128.

قائلاً لديمتريوس: «أنت حزين لرؤيتي أحفر في برزخ؛ لكن إذا رأيتني ألعب القيثارة مثل نيرون، فما هو شعورك بعد ذلك؟».[1]

وأشار فيلوستراتوس كيف أوصى أبولونيوس التيانى الإمبراطور تيتوس TiTus (وهو تيتوس فلافيوس فيسباسيان الابن الأكبر للإمبراطور فيسباسيان والذى عُهد إليه بحملة إلى القدس لمحاربة اليهود)أن يتبع تعاليم ديمتريوس الكلبي.

فيقول الإمبراطور تيتوس لأبولونيوس: وبالنسبة لنفسى يا رجل تيانا، هل يمكن أن تعلمنى كيفية ممارسة سلطة الإمبراطور؟

يُجيب أبولونيوس: عليك أن تفعل ما كان يفعله أبيك، واعتقد أنك سوف تكون مثله...... وأريد أن أكرر لك بمناسبة سؤالك قول أرخيتاس Archytas وهو أحد النبلاء. حيث كان رجلاً من تارنتوم ويستحق أن نقتدى به، فهو لا ينسى من الذاكرة، لأنه أحب وتعمق ومارس تقاليد فيثاغورس، وكتب عن كيفية تعليم الأطفال حيث يقول: « دع الأب يكون مثالاً على الفضيلة لأبنائه، لأن الأباء سوف يسيرون على نحو أكثر حزماً في طريق الفضيلة، لأن الأطفال يشبهون ضرب أبائهم.»..........

وبالنسبة لك يا تيتوس سوف اقترح أن ينضم معك صديقى الخاص ديمتريوس الكلبي، الذى يكون لك عوناً ومخلصاً ويوجهك لكي تصبح حاكماً جيداً.

ويسأل الإمبراطورتيتوس: وأي نوع من الحكمة يا أبولونيوس يمتلكها ديمتريوس الكلبي الشجاعة أم ماذا؟!

ويُجيب أبولونيوس: يمتلك قول الحقيقة التى لا ينازعها أحد، لأنه يمتلك ثبات وقوة شخصية الفيلسوف الكلبي.

تيتوس: لم أكن مسروراً بسماعى اسم الكلب، ولكنك تذكرنى بهوميروس الشاعر اليوناني الذى كان يرسل كلبين لمرافقة الشباب إلى السوق في إثيكا « أثينا» على الرغم من كونهما حيوانات لا تمتلك عقلاً، إلا أنهما أوفياء لصاحبهما.

أبولونيوس: إن ديمتريوس الكلبي يرافقك وينبح نيابة عنك في وجهة الآخرين الذين

(1) Ibid.Vii.35.

يُضلوك، وأيضاً ينبح في وجهك في حال ما ذهبت على نحو خاطئ، أو حالفت الظلم، إنه ينبح بحكمة لا يضاهيه أحد، إنه الكلب العقلاني، و إن شئت القول فهو الكلب الحكيم.

تيتـوس: حسـناً.......... أعطنى كلبـك لمرافقتى، وسـأتركه حتى يعضـنى؛ في حال أنني حالفت الظلم على نفسى وعلى الآخرين.

أبولونيوس: سأكتب له رسالة، لأنه يعلم الفلسفة في روما.

تيتوس: صلي من أجلي يا أبولونيوس. لكي يوافق ديمتريوس الكلبي على مرافقتى في رحلتى إلى روما. (١)

وعرض فيلوستراتوس لنص رسالة أبولونيوس إلى ديمتريوس

أبولونيوس: صديقى ورفيقى ديمتريوس الكلبي................ بعد التحية.

لقـد رشـحتكم إلى مرافقة الإمبراطـور تيتوس، بحيـث يمكنك إرشـاده لكيفية التصرف كإمبراطور، مع اهتمامك بتأكيد الحقيقة الكلبية ومبادئها الحكيمة، وأيضاً فرصة لك لنشر الحق وفلسفتك للإمبراطور ورعيته دون ظلم أو انظلام، ودون غضب منك لما يفعله الإمبراطور قبل تعليمك إياه..صديقك أبولونيوس.(٢)

وهذا يذكرنا بما قاله ديوجين السـينوبي عن سبب تسـميته بالكلبي، رد قائلاً: «لأنني أنبح في وجوه الأوغاد وأُشبعهم عقراً.»(٣)

ويقول المورخ الرومانى ديو كاسيوس عن علاقة ديمتريوس الكلبي بالإمبراطور تيتوس: «أنـه في عـام ٧٥م أراد تيتوس الذي كلف بالحرب ضد اليهود، تعهد بكسـبهم من خلال بعض الوعود؛ ولكن بما أنهم لن يستسلموا، فقد شرع في شن حرب نفسية عليهم «بالزواج من الأميرة اليهوديـة برنيس، التى جاءت مع شـقيقها أجريبا، حيث حصلت برنيس عـلى رتبة الباريتور وسـكنت في القصر مع تيتـوس، وتوقعت أن يتزوجها، ولكن ديمتريـوس الكلبي نصحه بعدم الـزواج نظراً لاسـتياء الرومانيين من هـذا الزواج، لأنها وأخوها لم يجيئـوا إلى روما إلا طمعاً في حكمها وثرواتها وظلم شـعبها، إنها جـاءت لهدفها وليس من أجلك، ورفض تيتوس نصيحة

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. viii.42.
(2) Ibid. viii.44.

(٣) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني.. ف٦٠- ص ٥٧.

ديمتريـوس الكلبي، ممـا دعا كلبي آخـر يدعي ديوجينيـس أن يتهكم في خطـاب طويل على ما يريد أن يفعله تيتوس، وجاب مسـارح المدينة منددا بما يريده الإمبراطور؛ مما أدى بتيتوس إلى جلد ديوجينيس وقطع رأسه؛ ونفي ديمتريوس الكلبي وطرده من روما.[١]

ووصف فيلوسـتراتوس موقف ديمتريوس الكلبي الذى عاصر الإمبراطور دومتيان مسبباً قلقـاً محتدمـاً لكل من عاصرهم مـن أباطرة الرومـان؛ حيث قلقهم من المنجمـين والرياضيين والفلاسـفة؛ الذيـن جعلهم أباطـرة الرومان وحتـى دومتيان فصيـل واحد هدفها التشـكيك في قرارات وتصرفات الإمبراطور، معتقداً أنهم بغضبه سـوف يهربون من أجل النجاة بأنفسهم من الإعدام.[٢]

ويروى لنا فيلوسـتراتوس أنه « بعد أن وصل أبولونيوس إلى كورنثا مؤدياً شعائره المعتاده، اتجـه إلى صقلية وإيطاليا في اليـوم الخامس من رحلته، وهناك التقـى ديمتريوس لكونه أجرئ الفلاسـفة الذين لم يعيشـوا بعيـداً عن روما خوفاً مـن الطاغية دومتيان، وقـال أبولونيوس له: «لقد أمسكتك في هذا الجزء الأكثر روعة من إيطاليا السعيدة؛ إذا كانت في الواقع سعيدة!!!!» واحتضن ديمتريوس ونظر إلى السـماء قائلاً: «أيها الآلهة، ماذا سـيحدث للفلسفة؛ إذا فقد هذا الرجل؟

ثـم قاد ديمتريـوس أبولونيوس وصديقـه داميس إلى الفيلا التى كان يعيش فيها شـيشرون الخطيب الروماني، وجلسـوا جميعاً تحت شجرة حيث كان الجنادب يفرحون بصوت الموسيقى الهادئة لنسيم الصيف وقال ديمتريوس: «أيتها الحشرات المباركة والجريئة، يبدو أنكم تتغنون وتمرحون بعيداً عن كل هذا الحسد البشري الذى أفسد عليكم العيش في زحام مدينتهم، وفضلتم العيش هنا في سـعادة متنازلين عن احتياجات بطونكم؛ وها نحن هنا لكي نشعر بالسعادة بعيداً عن الحسد والحقد البشري الذى قيد أذهاننا......

ثـم قال أبولونيـوس: «يبدو يا ديمتريوس أنك لم تأت هنا لتمتـدح الجنادب، بل جئت هنا هرباً، كما لو أن هناك قانوناً عاماً في روما ضد أي شخص يمدح الجنادب.

أجـاب ديمتريـوس: « نعم.. فعلت ما قلـت، ولكن ليس عن طريق مدحهم، بل للإشـارة

(1) DIO CASSIUS, Dio's Roman History, trans. E. Cary, Cambridge MA, Harvard University Press, 1968. lxv.15.3-5. LXVI. p.259.

(2) Philostratus, The life of Apollonius of tyana, v7-10-12.

إلى أنـه في الوقـت الـذى تُركوا فيه غير مقيدين في أعشاشـهم، لا يسـمح لنا كبـشر بالتمتمة، لأن الحكمـة أصبحـت جريمـة لا يناسـبها سـوى عقوبـة الإعـدام، في حين أن قائمـة الإتهام التى قدمها كل من أنيتوس وميليتوس ضد سـقراط بأنه يفسد عقول الشباب، ويدعوا إلى دين جديـد يخالف به آلهة أثينا، فنحن متهمون بمثل هذه الإتهامات؛ ولذلك فالفلسـفة والفلاسـفة مضطهدون في كل عصر، لأنها هي الحقيقة التى لا يريدها البشر.(١)

ثـم صـاح أبولونيـوس قائـلاً: وجـدت الحـل.... إننـا إذا اسـتطعنا مقابلـة Telesinus (وهو فيلسوف رواقي يحمل رتبة قنصلاً في عهد نيرون» فسوف ينقذ الفلسفة والفلاسفة.

قال ديمتريوس: لكن كيف نقابله؟ والطغاة يشـكون بشكل واضح في أي رجل من رجال الدولة إذا وجدوه يتواصل مع أمثالنا المتهمون بإفسـاد المدينة وشـبابها ورجالها، علاوة على أنه وافق على المرسـوم الأخير ضد الفلاسـفة والذى قرر فيه الإمبراطور نفي الفلاسفة وطردهم، مفضلاً أن يكون في المنفى كفيلسوف رواقي، على أن يظل في روما قنصلاً.

قال أبولونيوس: نحن نواجه مثل هذه الاتهامات نيابة عن الفلسفة، إنهم يكرهون الفلسفة، ولا يكرهون وجودنا.

قال ديمتريوس: عليك يا أبولونيوس ألا تتظاهر بالخوف عند محاكمتك بمثل هذه الإتهامات؛ عليك أن تدافع عن نفسك.

قال أبولونيوس: وهل ستهرب لأنك تعرضت لنفس هذه الاتهامات مثلي؟

قال ديمتريوس: لا يمكننى أن أهرب متخلياً عن فلسـفتى التى أؤمن بها.... أقسم بأثينا إذا كان هناك قاض عادل ليحكم علي، لكن في الواقع لا توجد محاكمة عادلة؛ وإذا قدمت دفاعاً فلن يستمع لى أحداً، وطالما اخترت أن تكون فيلسوفاً محباً للحكمة، فعليك أن تختار الموت بدم بارد.......

واعتقـد أنه يجب على الفيلسـوف أن يموت من أجل حكمته التـى تدفعه لتحرير مدينته أو لحمايـة أبويـه وأطفالـه وغيرهم من الأقـارب، أو أن يمـوت من أجل أصدقائـه، الذين هم في أعـين الحكيـم أغلى من الأهـل والأقـارب، أو أن يموت حبـاً للحكمة أفضل مـن أن ينحنى الفيلسوف لطاغية جائر.....

(1) Ibid. v7 -12-14.

و إذا كان حديثنا عن القدر وما هو ضروري؛ فإذا كان قدرك قاس عليك فلا تقابله وأنت مقيد اليدين، لأنك تراه قدراً، عليك أن تكون شجاعاً في مواجهته حتى ولو غلبك.....

وعليك أن تفكر في أصدقائك وسلامة أنفسهم، وفي الفلسفة التى تدمرها وتدمرهم بنفسك؛ إذا لم تكن شجاعاً في مواجهة قدرك بدفاعك عن نفسك بما علمته لك الفلسفة، حتى ولو لم يتم الاستماع إليك.....

و إن لم تملك يا أبولونيوس الحكمة والشجاعة للدفاع عن الفلسفة وعدم تلطيخ وتشويه سمعتها بدم الكذب والنفاق والخداع والظلم؛ فعليك أن تهرب كما فعل بعض الفلاسفة إلى مصر، والبعض إلى فينيقيا وقبرص، وبعض ثالث إلى قورينا، ورابع إلى سردينيا، خوفاً من مواجهة أقدارهم.

صرخ داميس: قائلاً هذا هو الفيلسوف الحق.[١]

يقول أبولونيوس: أعلم يا ديمتريوس كم أنت فيلسوف بارع في إيراد الحجج المنطقية حول الحكيم وصفاته.

رد ديمتريوس قائلاً: أنا أعتبر أن الرجل الحكيم لا يفعل شيئاً على انفراده أو بمفرده، أنا أؤمن بأنه حتى أفكاره الغامضة لا يمكن أن تكون خالية مما يبررها، لأن الحكيم لا يعيش من أجل نفسه، إنه يشبه الآلهة في نشر كل ما هو حق للجميع؛ أرأيت ما كتب على معبد الإله أبولو، لقد أراد أن يظهره ويكشفه للآخرين لكي لا يضلو في الحياة؛ فأنا أؤمن بأن الحكيم ينبغي أن يعرف نفسه جيداً، كما قالت بيثيا كاهنة معبد دلفى لسقراط، فيكون ضميره هو رفيقه الدائم، و إظهارأن الحق والحقيقة هما شعلته التى لا تنطفأ أبداً، ولسانه سلاحه لحب المعرفة، ومبارزة الطغاة المتكبرين؛ إنه لن ينحنى أبدا.....

فمثلا يفعل الأشياء التى يخجل العامة عبيد الطغاة من فعلها في مأكله ومشربه ومأواه، يفعل ما يشاء في حياته الخاصة شريطة ألا يخون نفسه وحكمته، أما العامة فهم مستعدين دائماً لخيانة كل ما هو عزيز لديهم، حتى خيانة أنفسهم وأهليهم وأولادهم...... لكن الحكمة لا تسمح بذلك...

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. v7-12-14.

أظن بعد ذلك أنني قد أوضحت لك من هو الحكيم وصفاته، وأن تلك هي الحقيقة نفسها، تلك الحقيقة التي ستقنعك بأن ضميري سوف يرافقني أينما ذهبت، سواء لمن يعرفني، أو لمن لم يعرفني؛ أنني لن أخون نفسي حتى أخون أصدقائي، لكنني سأظل أصارع بجرأة ديوجين الكلبي الطغاة لإظهار الحقيقة جلية لكل من يريدها، إلى أن تسود الفلسفة كل ما في حياتنا، وأقول لك كما قال هوميروس كلماته النبيلة: « أريس هو صديقي مثل صديقك...»(١).

وفي عام ٧٥م في عهد الإمبراطور فيسباسيان طرد ديمتريوس للمرة الثانية مع الفلاسفة الآخرين من روما إلى جزر سيكلاديز (ويعتقد البعض أن الطرد كان في عام ٧١م وفقاً لديو كاسيوس المؤرخ الروماني) حيث سعي ديمتريوس إلى تطبيق مبادئ الكلبية القديمة، بالإضافة إلى علاقته بفلاسفة الرواقية، ولم تروق الفلسفة ولا الفلاسفة لموسيانوس Mucianus (الذراع التنفيذي للإمبراطور فيسباسيان) وبدافع من الغضب من الاشتغال بالفلسفة، أقنع الإمبراطور فيسباسيان بطرد كل الفلاسفة من روما إلى جزيرة سيكلاديز.

وكان ديمتريوس يبعث من منفاه عدة رسائل ضد الإمبرارطور فيسباسيان، حتى بعث له الإمبراطور فيسباسيان في منفاه برسالة يقول فيها «أنت تفعل كل شيء لإجباري على قتلك، لكنني لم أقتل كلب ينبح.»(٢)

وكان موسيانوس شخصية تميل إلى التباهي بالسلطة، ويعشق التمجيد والتعظيم، حتى يتفادوا شره، وكلمته المسموعة عند الإمبراطور فيسباسيان، حتى كان يشعر بالإستياء من الشخص الذي يفشل في الطريقة التي يُعبر بها عن كيفية تكريمه وتمجيده، فيعاقبه بالنفي، هذا بالإضافة إلى عدم قبوله الفلاسفة على الإطلاق، وذلك لأنهم يُعلمون التجرئ والعصيان والتمرد، فقدم لفيسباسيان ٢٨٥ تصريحاً للفلاسفة ليؤكد له ضرورة طردهم من روما، وعلى سبيل المثال قوله أن الفلسفة مليئة بالتباهي الفارغ، تدعي الحكمة والشجاعة والبر وأصحابها ليسوا بذلك، هم يطلقون لحاهم ويتبجحون على سادة روما ويُفسدون العامة، يُعلموهم الفقر ولا يُغنوهم بما يفكرون.(٣)

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. v7-15.
(2) DIO CASSIUS, Dio's Roman History. B. 65-66.
(3) Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by. J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932. P.53.

و يلاحظ تأثر ديمتر يوس الكلبي بمؤثر ين عظيمين أولهما: الآثر اليوناني المتمثلُ في الرافض السقراطي المُتمسك بالفضائل الفطرية، والاعتماد على الذات في تحصيلها، والثانى الآثر الشرقي المتمثل في الرافض البوذي الذى يعتبر الأخلاق ممارسة وليست فضائل نظرية أو تعاليم يجب حفظها.

٢- سيكوندوس الصامت Secundus the Silent:

ازدهر سيكندوس والملقب بالصامت حوالى عام ١٣٠ ميلادية، لم يعرف الكثير عن موطنه ونشأته سوى ما ذكره فيلوستراتوس إنه تم إرساله بعيدًا عن المنزل لتعليمه عندما كان صغيراً، وعندما بلغ، قرر اختبار افتراض داخله ينص على القول بأن كل امرأة عاهرة. ولذلك عاد إلى منزله وهو يرتدي زي الفيلسوف الكلبي ذي الشعر الطويل واللحية، فراود والدته على معاشرته معاشرة جنسية مقابل خمسين قطعة ذهبية، وبعد أن أمضى الليلة معها، لم يفعل شيئًا سوى النوم على فراشها وفي سريرها، ثم أخبرها أنه هوالذى كان نائماً بجوارها مقابل خمسين قطعة ذهبية، فشنقت والدته نفسها من شدة الخجل، وقررمن حينها التزام الصمت مدى الحياة.(١)

وعندما وصل الإمبراطور هادريان(حكم روما فيما بين١١٧-١٣٨م كان مهتما بالفلسفة محباً لها وللفلاسفة) إلى أثينا، سمع عن سيكندوس واستدعاه إلى الحضور؛ وعندما دخل سيكوندوس حاول الإمبراطور اختبار صمته هل هو حقيقة أم لا؟ قام هادريان واستقبل سيكوندوس ولكنه لم ينطق بشيء، ودون خوف من هادريان أشار صامتاً إلى الترحيب بهادريان.

ثم قال له هادريان، «تكلم أيها الفيلسوف، حتى نتمكن من التعرف عليك. لا يمكننا معرفة حكمتك عندما لا تقول شيئًا.

وعلى الرغم من هذا ظل سيكوندوس صامتاً.

فقال هادريان لسيكوندوس: قبل أن آتى إليك كان من المناسب لك إلتزام الصمت، حيث لم يكن أمامك من يستمع إليك جيداً، ولا من يستطيع أن يتحدث معك، جئت إليك وأطلبها منك تحدث حتى نطلع ونعرف حكمتك وفلسفتك.

(1) Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists. 1.26.

ومع ذلك ظل سيكوندوس صامتاً دون خجل أو خوف من الإمبراطور هادريان.

ثم قال هادريان لأحد أتباع سيكوندوس بعد أن نفد صبره، اجعل فيلسوفك يتكلم عن حكمته، ففي مقدوري إقناع الأسود والفهود وغيرها من الحيوانات البرية أن تتكلم بصوت إنساني، ولكنني لا أجبر فيلسوفاً يتحدث دون إرادته.

ثم استدعى الإمبراطور هادريان الجلاد وقال له: «لا أريد أن يعيش أي شخص يرفض التحدث إلى الإمبراطور هادريان، خذه بعيداً وعاقبه حتى ينطق.

ثم دعا الإمبراطورهادريان الجلاد جانباً على انفراد وقال له: « عندما تأخذه بعيداً، تحدث معه وشجعه على الكلام، وإذا أقنعته بالكلام وتكلم معك فقطع رأسه، وإذا لم يجب عليك وظل صامتاً فأعده إلى هنا سالماً دون جلد.

وذهب الجلاد ومعه سيكوندوس قائلاً له: لماذا تموت من خلال صمتك؟ تكلم لكي تعيش، امنح نفسك هدية الحياة بكلمة واحدة منك؛ إن كل الطيور والكائنات تتحدث بصوتها الطبيعي؛ لا يوجد شيء حي ليس له صوت إلا من مرض أو كان ذو عاهة؛ ولست أنت مثلهم، بدل حياتك بيدك ولا تجعلُ صمتك يقتُلك؛ واستمر الجلاد في اغراء سيكوندوس حتى يوقعه في الفخ واغرائه بحب العيش والحياة؛ ولكن سيكوندوس لم يتأثر بما قاله الجلاد وظل صامتاً؛ ثم أشهر الجلاد سيفه في وجه سيكوندوس قائلاً له عليك أن تنقذ نفسك من الموت بكلامك وحديثك معى؛ ولكن سيكوندوس لم يتأثر أيضاً بكلام جلاده وظل صامتاً.(١)

وعندئذ أخذ الجلاد سيكوندوس عائداً به إلى الإمبراطور هادريان قائلاً له: سيدى القيصرأُعيد لك سيكوندوس كما كان عندما سلمته لى، صامتاً بعد أن رأى الموت.

تعجب الإمبراطور هادريان من قوة وصمود سيكندوس أمام الموت، قائلاً لسيكندوس لم أكن قادراً كإمبراطور لروما أن أكسر قانونك الخاص بك؛ ولهذا أستسمحك أن تكتب بيدك؛ وتتحدث معى كتابة بيدك:

كتب سيكوندوس الصامت قائلاً: من جهتى أيها الإمبراطور هادريان فلن أخاف منك أو أخاف من الموت؛ فأنت حاكم اليوم ولست حاكماً للغد؛ وليس لك قوة على ما لدي من كلام.

(1) Lucian, Fugitivi, Translated: by. H.W. Fowler & F.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata, Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes, ch. 16.

قرأ هادريان ما كتبه سيكوندوس وقال: «أنت بارع في الدفاع عن نفسك؛ لكنني أستسمحك أن تُجيبني على عدد من القضايا الفلسفية، لديّ عشرون سؤالاً أطرحها وهي:

السؤال الأول: ما الكون؟

رد سيكوندوس كاتباً: « الكون هو نظام السموات والأرض وكل الموجودات الواقعة بينهما، وأنت يا هادريان إنسان مثلنا جميعاً، ولكننا نختلف في من هو ذو شعر أشعث، ومن هو مزين بالجمال؛ كلنا نمتلك الملابس وقوة الطبيعة التي تحمينا، لكنك مليئ من داخلك بالمخاوف والقلق على عرشك ومجدك ؛ضعيف ولست قوياً تخاف من قوة الرياح الشتوية؛ ويزعجك البرد القارس وشدة حرارة الصيف؛ أنت مثل الأسفنج منتفخ لكنك مليئ بالثقوب نظراً لكونك موجوداً قصير العمر ومليئ بالأمراض، كما أنك لا تستطيع فعل شيء إلا ما قُدر عليك، اليوم يمر بنا ولا نعرف ماذا سيكون الغد.

فعليك ألا تفخرُ يا هادريان بأنك وحدك قد طوقت العالم برحلاتك؛ لأن الشمس والقمر والنجوم هي التي تقوم بالرحلة من حولك؛ لا تفخر بنفسك أنك جميل وعظيم وغني وحاكم هذا العالم كله؛ ألا تعلم أن كونك رجلاً، فقد ولدت عبئاً على الحياة، لا حول ولا قوة لك، فأنت تقع في أيدى آلهة القدر والعناية؛ فأنت لا تعرف شيئاً؛ فأنت لست هيراكليس العملاق الخالى من الخوف، ولست جريئاً كالأسكندر المقدوني؛ ولست جميلاً كأخيل فينظر إليك، ولا تملك ذكاء ودقة أوديسيوس، ولا قائداً قوياً للجيوش مثل أجمامنون، ولست غنياً غنى ملك الليديون، تلك هي الفروق التي ميزت بها آلهة القدر هؤلاء الرجال. (١)

وبعد هذه المقدمة دعنى أُجيبك على أسئلتك: الكون هو محيط بعيد المنال، يولد ذاتياً ويعتمد على التأمل، أبدي، أثير مغذى لنور الشمس، النهار، النجوم، الظلام، الليل، الأرض، الهواء والماء.

أما السؤال الثاني: ما المحيط؟

أجاب سيكوندوس: هو الشيء الذى يحتضن العالم؛ والحدود التي يتوج بها هذا العالم، وتحتضن الطبيعة بأكملها، والمرآة التي تعكس ضوء الشمس، حامل هذا العالم المأهول.

(1) Lucian, Fugitivi, ch. 17.

ثم ألقي هادريان عليه السؤال الثالث.

السؤال الثالث: ما الإله؟

أجاب سيكوندوس: هو مكون ذاتي، روح منتشرة في كل شيء، عين لا تغلق من النوم لأنه لا ينام، الضوء الذى يسود على الجميع، هو صورة للعديد من الأشكال يصعبُ فهمها ولا يمكن رؤيتها.

السؤال الرابع: ما الزمان؟

أجاب سيكوندوس: هو مرآة الطبيعة، دورة لمدة اثنى عشر ساعة، ملعب للكدح والشقاء، وتذكير بالحياة، تواصل حيوي مع الناس، وذكريات للماضى.

السؤالً الخامس: ما الشمس؟

أجاب سيكوندوس: هي عين السماء، خصم الليل، مؤشر الكون، لهيب غير ملوث، ضوء متواصل، شعلة تُنير بحرية مطلقة، هي مسافر في السماء وحلية اليوم وزينته.

السؤالً السادس: ما القمر؟

أجاب سيكوندوس: هو وقت السماء، بديل عن الشمس، نور البحارة، وتشجيع للمسافرين، عزاء الليل، عدو الأشرار، راعى المهرجانات، دورة الأشهر.

السؤال السابع: ما الأرض؟

أجاب سيكوندوس: هي قاعدة السماء، وسط الكون، محيط لا حصر له، ساحة صراع الحياة، مشهد مسرحي بدون أساس، نظام أنشأه الإله، أصل كل الأشياء، حماية المحاصيل وأمها، وهي منطقة يشغلها العديد من السكان، ومستودعهم النهائي.(١)

السؤال الثامن: ما الرجل؟

أجاب سيكوندوس: هو العقل الذى يلبس في الجسد، كائن حي تملؤه العظمة، جسد يحتوي على روح، مصدر للإدراك الحسي، شبح في مرآة الزمن، روح كادحة، شيء جيد لا يدوم، أحد نفقات الحياة، منفى من الحياة، هارب من النور، شيء ستسترده الأرض، جثة إلى الأبد.

(1) Lucian, Fugitivi, ch. 18.

السؤال التاسع: ما المرأة؟

أجاب سيكوندوس: هي رغبة الرجل، والقلق الذي يكدر صفاء أي شيء، وحش متوحش، عاصفة في المنزل، أداة لحطام الرجل، خسارة يومية، لبؤة لايمكن الفكاك منها، خدمة مقدمة من الآلهة لإنجاب الرجال، أفعى ترتدى ثياب، حية سامة، موجود شرير، شر ضروري لابد منه.

السؤال العاشر: ما الجمال؟

أجاب سيكوندوس: هونعمة من صنع الإله، قطعة قصيرة من الحظ الجيد، حيازة لا تبقى معنا، شرللرجل التقي، حادث الجسد، وزير الملذات، زهرة تذبل، منتج غير مبهم، رغبة الرجال.

السؤال الحادى عشر: ما الصديق؟

أجاب سيكوندوس: هو رجل نفتقده في كل زمان ومكان، عُملة يصعب العثور عليها، سند في وقت الشدة، ملجأ في الضيق، عون في الشدائد، ناصح أمين، ثروة لايمكن اقتناؤها.

السؤال الثانى عشر: ما الفلاح؟

أجاب سيكوندوس: هوخادم للمحاصيل، رفيق العزلة، خصم للغابة، محسن للحقول، طبيب الأرض، وزارع الأشجار، ومجمل الأراضي الجبلية، شخص مفلح لايكل ولا يمل.

السؤال الثالث عشر: ما المصارع؟

أجاب سيكوندوس: هو فنان دموي، شهية شريرة، موت سريع، انتصار سيء.

السؤال الرابع عشر: ما القارب؟

أجاب سيكوندوس: هو أخشاب ثلاثية الأبعاد، منزل بلا أساس، قبر جاهز، مصير مقيد، موت عائم، سلامة غير مؤكدة، مسافر وسط الأمواج.

السؤال الخامس عشر: ما البحار؟

أجاب سيكوندوس: هو الشخص الذي يسافر عبر الأمواج، ساعي على البحر، شخص يسير على طريق الرياح، شخص غريب في العالم المأهول، وهارب من الأرض، وخصم للعاصفة، مصارع بحري، شخص غير متأكد من سلامته، جار حتى الموت، عاشق البحر.

السؤال السادس عشر: ما الثروة؟

أجاب سيكوندوس: هي عبء من الذهب، امتزاج الخوف بالأمل، ومصدر عناء يومي، وشيء غير مستقر، وقطعة من سوء الحظ المحبوبة، وشيء مليء بالمآسي الخبيثة، مصدر للحسد والشقاء، مكان مرتفع يحتمل السقوط منه، جني المال بلا معنى، عماء مطلق في كل الملذات، ضياع للشخص.

السؤال السابع عشر: ما الفقر؟

أجاب سيكوندوس: هو شيء جيد مكروه، أم الصحة، عائق أمام الملذات، طريقة للحياة الخالية من القلق، حيازة يصعب التخلص منها، مصدر الاختراعات، مكتشف الحكمة، عمل لا يحسد عليه أحد، ملكية لا يُحرث عليها، البضائع التي لا تخضع للضريبة، أرباح لا تُعد ولا تحصى، الحظ الجيد.

السؤال الثامن عشر: ما الشيخوخة؟

أجاب سيكوندوس: هي شر آتي لا محالة، موت حي، مرض صحي، مصير مؤكد، سبيل الموت، جثة في الحركة.

السؤال التاسع عشر: ما النوم؟

أجاب سيكوندوس: هو استرخاء من كدح الحياة، وحكمة اليقظة، وصورة الموت، ورغبة أولئك الذين يكدحون في المشقة، وبقية الروح كلها، والمهنة الرئيسية للأغنياء، الثرثرة الخاملة للفقراء، موضوع يومي للقلق. (١)

السؤال العشرون: ما الموت؟

أجاب سيكوندوس: هو النوم الأبدي، تفكك الجسد، رغبة من يعانون الاضطهاد، رحيل الروح، خوف الرجال الأثرياء، رغبة الفقراء، تفكيك الأطراف، الهروب من الحياة وفقدان حيازتها، والد النوم، تفكك وانهيار كل شيء، شيء لابد من حدوثه ولا حيلة ولا قدرة للهروب منه.

---

(1) Dudley, D, A History of Cynicism, p 159.
B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964.

بنـاءً على ذلك، قام هادريان، بعد قراءة هذه الإجابات عن أسـئلته، وبعد أن أدرك سـبب جعله الصمت ممارسـة فلسـفية وهروب من الآلآم والاضطهاد، أصـدر أوامره بضرورة إيداع كتبه في المكتبة المقدسة في روما تحت اسم سيكوندوس الفيلسوف الصامت.(١)

ويمكننـا أن نلاحظ من إجابات سـيكوندوس مواضع تأثره بالسـابقين عليه والمعاصرون له:

ففى إجابة السـؤال الأول عن الكون كانت إجابته متأثـرة بالفكر اليوناني بوجه عام، أما إجابة السؤال الثانى عن المحيط فنجد بعض الملامح الأسطورية فيه بالإضافة إلى تصور طاليـس للـماء والمحيط، أما إجابة السـؤال الثالث عن الإله فنجد مؤثرات هيراقليطيسـية ثـم رواقية، أما إجابة السـؤال الرابـع عن الزمان فنجـد مؤثرات فيثاغوريـة وأفلاطونية، أمـا إجابة السـؤال الخامس عن الشـمس فنجـد مؤثرات مصريـة قديمة وهيراقليطيسـية، أما إجابة السـؤال السـادس عن القمر فنجد تأثره بالفكر الأسـطوري والفكر الأرسـطي بما هو فوق فلك القمر وما هو تحت فلك القمر، أما إجابة السـؤال السـابع عن الأرض فنجد تأثـراً بالفكـر الأسـطوري والبطلمي، وذلـك في قوله بـأن الأرض هي قاعـدة الكون لأنها ثابتة كما قال بطلميوس، أما إجابة السـؤال الثامن عن الرجل فلم يضف سـيكوندوس شيء عن السـابقين عليه، أما إجابة السـؤال التاسـع عن المرأة فنجده متأثراً بالتراث اليوناني كله والـتراث الهنـدي، أما إجابة السـؤال الحـادي عشر عن الصداقـة فنجده متأثـر بأفلاطون وأرسـطو، لأن الصداقة عند أفلاطون تعنى الحبيب ؛لأن الحب للصديق فقط وعند أرسـطو هـي فضيلـة الفضائل، أمـا إجابة السـؤال العاشر عـن الجمال فهـو متأثر فيـه بأفلاطون، أما إجابة السـؤال الثانى عشر إلى السؤال السادس عشر فهو متأثر بالثقافة المحيطة والثقافة العامة وليس فيه أدنى ابتكار أو حكمة، أما إجابة السؤال السابع عشر عن الفقر فنجد تأثير سقراطي وكلبي وبوذي، أما إجابة السؤال الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون فنجد تأثير من الثقافة العامة وليس به أدنى ابتكار أو حكمة.

٣- ديموناكس: Demonax

جاء ديموناكـس حوالى عام ٧٠ ميلادية من عائلة قبرصية تتمتع بممتلكات ونفوذ سـياسي

(1) Dudley, D., A History of Cynicism, p 160.

كبير، ترك السياسـة وكرس نفسـه للفلسفة الكلبيةإعجاباً بأسـتاذه ديمتريوس وعيشه البسيط ورفضـه للثروة والسياسـة، انتقل إلى أثينا، حيث اكسـبته حكمته ومهاراتـه في حل النزاعات إعجـاب المواطنين، ووصف بصانع السـلام، وذلك لقدرته على تحقيق الانسـجام والتوافق بين الزوج والزوجة، وحل النزاعات بين الأشقاء.

لم يهتم يتصفيق الجمهور له، ونادى برفض العبودية والاشمئزاز منها وسوء معاملة العبيد، وشـجع على البسـاطة في العيش والزهد، لم يكن معروفاً مطلقاً بالغضب الشديد، ولكنه كان يتسم بهدوء العقل، لم يكن يحزنه سوى المرض وموت أصدقائه. (١)

ويعد لوسيان (١٢٥م-١٨٠م) السوفسطائى المحدث هو مصدر معرفتنا الوحيد بديموناكس، حيـث قال أنه عـاش حوالى مائة عام، وأنه تـوفي حوالى عام ١٧٠ ميلاديـة، من خلال تجويع نفسه، وأعد له الأثينيون جنازة عامة تليق بحبهم له، وكانت زيجات الخبازين وبائعي الخضار والفاكهة يتنافسن في شرف تقديم الطعام له، حباً وليس عطفاً، واعتاد الأطفال أن يطلقوا عليه اسم الأب ويقدمون له الفاكهة.

ويقـول لوسـيان عندما سُـئل ديموناكس عن الفلاسـفة الذيـن يفضلهم، قيـل أنه أجاب: أنا معجب بهم جميعاً. أحترم سـقراط وديوجين السـينوبي الذى اتسـم بهدوء العقل والحكمة، والذى استغنى عن كل شيء لإكتساب الفضيلة وتعليمها.

وعندمـا سـأله أحدهم عن من يعتقـد أنه رجل سـعيد حقًا، أجاب «الرجل السـعيد حقًا هو الرجل الحر. أنا أتحدث عن الشخص الذي لا يأمل ولا يخاف شيئًا.(٢)

كان ديموناكـس موضع تقديـر عام في أثينا لسـلوكه الخير، وعندمـا أراد الأثينيون إقامة عـروض للمصارعـين المحترفين في المدينة، فقـد نصحهم أن يقوموا قبـل كل شيء بهدم هيكل الشـفقة Pity. وعلى الرغم من بسـاطة طـرق ديموناكس المقتصدة القانعة فإنـه كان فيما يبدو يتجنـب الزهـو الفـارغ والتظاهر الـكاذب. وعندمـا وقف أمام محكمـة أثينا بتهمـة الكفر والإلحـاد، لأنـه امتنع عن تقديـم القرابين، ورفض الاشـتراك في الأسرار الأليوسـية- لكنه رد التهمة بأن الآلهة ليست بحاجة إلى قرابين، لقد كان ديموناكس كمعظم الكلبيين يهاجم ماليس

(1) H.W.Fowler & F.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata,Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes, at. the clarendon,press. OXFOrd,1905.frag.7...

(2) Ibid. frag.N.9-7-4-69.

له قيمة للإنسـان، لقد هاجموا الحكايات التشـبيهية الوثنية المتعلقة بالآلهة ورفضوا المعجزات التى تُنسب إليها، كما هاجموا التنبؤ بالغيب واعتبروا كل ذلك خداع محض.[١]

ويتضح من الشذرات القليلة التى تحوى أراء ديموناكس أنه شديد التعلق بأفكار سقراط مـن جهـة والكلبيـين الأوائل مـن جهة ثانيـة والفلسـفة الجينية مـن جهة ثالثة حيـث وفاته من الجوع وهو نوع من الانتحار أكدت عليه الفلسفة الجينية.

٤- أونوماوس: Oenomaus of Gadara

ازدهرأونومـاوس حوالى ١٥٠ ميلادية والمولود في جدارة بسـوريا (اليوم أم قيس والجدارة هي جماعة يونانية استقرت في شمال الأردن).

هاجم أونوماوس الحكايات التشبيهية الوثنية المتعلقة بالآلهة، وهاجم بعنف إحياء الإيمان بالتنبـؤ بالغيب والمعجزات قائلاً: إن المعجزات هي خداع محض، بينما الإنسـان على أية حال يمتلك إرادة حرة، والإنسان وحده- مسئول عن أفعاله.[٢]

لم يكن أونوماوس ملحداً أو كافراً بالآلهة ولم يدعو إلى ذلك، ولكنه كفيلسوف كلبي كان ناقـداً لأفعـال البشر التى لا تتفق مع أي عقل بشري فنجده يقول: « كم هي غريبة غرائز الآلهة، كما يصورها الكهنة والعرافيين؛ إن النبؤات الخادعة أكثر خبثاً، إن الكشف عن المحتالين لا يخلو من المرارة والآلم، نظراً لتحالف الكهنة ومن لا يملكون عقلاً من البشر، إن الحديث عن النبؤات التـى تحظى بإعجـاب جميع الإغريق تنطلق من الخفـاء؛ ولا علاقة لها بالإلـه؛ إن الكهنة محتالين نجدهم يخدعون كل إنسـان بما يذهب إليهم من أجله، فيهيئونه للخدعة التى تتناسب مع ما جاء مـن أجله؛ هل وجدت يوماً كاهناً يصدك ويُرجعك عن خرافاتك بقوله ما علاقة الإله بهذا؟!»[٣].

وأيضاً قوله: « لم تكن وظيفة الكاهن متاحة من الآلهة لكشف غموض المستقبل، وتحقيق حاجة الإنسان، ولكن الجنس البشري بطبعه غامض يهوى الخدع والاحتيال..............

..........إذا كان زيوس إله شـجاع، فلماذا يخشى أن يتعـرض معبده للمخاطر؟ ولماذا يُصر الكهنة على الأضاحى إذا كان زيوس لا يُطعم منها؟..........

---

(١) د. مصطفى النشار. فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة.دار الثقافة العربية. القاهرة. ص٢٨٨.

(٢) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م١. اليونان وروما. ص٥٨٤.

(3) Oenomaus of Gadara. XXXVI Lucian. The Discourses.

.... إذا كان الإلـه يعلـمُ حرب الإغريق ضد بعضهم البعـض نظراً لغضبه عليهم كما أدعى الكهنة؛ فمن سمات الإله أن يتسم بالسلام والصداقة..............

.... إذا كان الإلـه يشـن الحـرب علينـا، فما حاجتنـا إلى عبادته والتضحيـة من أجله كما أوهمنا به العرافين..............

.... إن حيلـة العرافـين دائماً تُرجعك إلى الزمن القديـم، لكي يثبت لك أن الأقدمين كانوا كذلك؛ لماذا لم يثبت العراف حيلته في نفس الوقت؟ فنجد مريضاً يشفى في نفس الوقت ويتبدل حاله، وتتحول الهزيمة إلى نصر في نفس الوقت!! [١]

وعن الفلسفة والفلاسفة نجده يقول: « عندما ترتبط الحكمة بالعرافة؛ فلا تنتظر إلا كل ما هو عشوائي.».

وأيضاً قوله: « الفلسـفة هي التى تحدد مصير الإنسـان، وليست خرافات الكهنة، وبدون الفلسـفة تضيع الحياة البشرية، بسبب رغبات وشـهوات البشر التى لا حد لها؛ مما يجعلنا نفقد القوة الحاكمة لحياتنا».

عـلى أية حال: لم تكـن كلبية أونومـاوس إزدراء تام لكل ما هو إنسـاني وإلهي، بقدر ما كانت نقد بناء لما نُسب خطأ من الكهنة للآلهة، وإيقاظ العقل البشري وتطهيره من الخرافات والشـهوات التى أفسـدت حياته، وكادت تُنهى الجنس البشري من خلال الصراعات المزعومة من الآلهة.

لم يكن أنوماوس إلا كلباً يقظاً ينبح ضد فسـاد الكهنة وفسـاد البشر، ليوقظ ما بداخلهم من إرادة حرة تحدد مصير الإنسان وتتحكم في رغباته وشهواته التى لا حصر لها، بل بالأحرى تلك الإرادة التى تحدد مصيره.[٢]

ويمكننـا أن نلتمـس المؤثرات السـقراطية في حديـث أونوماوس ولا سـيما في دفاعه عن الفضائل الإنسانية وتكذيبه لخرافات الكهنة، شأنه في ذلك شأن السوفسطائيين الذين شككوا في الأساطير التى نُسجت حول طبيعة الإله.

(1) Oenomaus of Gadara.xxxv. Lucian. The Discourses..
(2) Dudley, D., A History of Cynicism, p 162.

٥- بيريجنوس: Peregrinus Proteus

ولد بيريجنوس في باريوم من ميسيا عام ٩٥ ميلادية. والذى يدعى بروتيوس، اتهم بأنه قتل والده، واضطر إلى مغادرة منزله ومدينته، وخلال تجواله وصل إلى فلسطين واتصل بالمسيحيين حيث قدم له المسيحيون الكثير من المساعدات، عانى من السجن على يد السلطات الرومانية، وربما كان يتوقع إعدامه، ولكن حاكم سوريا أطلق سراحه نظراً لحالته الرثة، مؤكداً أنه مختلٌ عقلي، ويبدو أنه أصبح كلبياً في هذه المرحلة.

ثم عاد إلى منزله ورفض ميراثه حيث منح كل أمواله لأهالى مدينته، واستأنف حياة التجوال، واساء إلى المسيحيين وهاجمهم وطرد من المجتمع المسيحي، ثم ذهب إلى مصر للدراسة مع الكلبي المشهور أجاثوبولوس Agathobulusازدهر حوالى ١٢٥ ميلادية، حيث تعلم معه الزهد القاسي للكلبيين، ثم عاد إلى روما وبدأ حملة من الإساءات ضد السلطة الرومانية وخاصة الإمبراطور أنطونيوس بيوس الذى طرده من المدينة، ثم ذهب إلى إيليس في اليونان، حيث واصل الوعظ المعادى للإمبراطورية الرومانية. (١)

وفي الألعاب الأوليمبية عام ١٥٧ ميلادية أساء إلى هيروديس أتيكوس محب الخير الثري، وهاجمه أتباع هيروديس وهاجر إلى أثينا وكرس نفسه لدراسة وتعليم الفلسفة الكلبية، وأعلن في عام ١٦١ ميلادية أنه سيحرق نفسه علانية حتى الموت في الألعاب الأوليمبية التالية، وفي الليلة الأخيرة من الألعاب الأوليمبية عام ١٦٥ ميلادية تجرد من ملابسه ووضع نفسه في محرقة الجنائز، وشاهد لوسيان هذا الحدث بنفسه.

من أقوال بيريجنوس: « الرجل الحكيم لن يرتكب خطيئة، حتى لو خالف الآلهة، لأنه كان يعتقد أن على المرء أن يمتنع عن الخطأ، ليس من أجل الخوف من العقاب أو الخزي، ولكن من حب العدالة والصدق والشعور بالواجب.» (٢)

إن عرض لوسيان لبيريجنوس يضع أسوأ تأويلاً لسلوك الكلبيين في شخص بروتيوس الذى مال إلى الشهرة والمجد والغرور القاتل، والذى أمتد تأثيره حتى القرن الرابع الميلادي عندما أعجب به سيمونيدس الذى أحرق نفسه في عهد الإمبراطور فالينس عندما سئم من الحياة

(1) The Discourses. Peregrinus Proteus. Ch.7.vii Lucian.

(2) The Discourses. Peregrinus Proteus. Ch.8.viii Lucian.

الطاغيــة والكئيبــة، وكل ما هو كارثي، ففعل ما فعله بروتيوس حارقاً نفســه حياً لكي يتخلص من البشر الحمقى.(١)

٦- سالوستيوس: Sallustius Of Emesa

عاش سالوســتيوس فيما بين ٤٣٠م-٥٠٠م، وكان والده الذى يُدعى باسلديس ووالدته التى تُدعى ثيوكليا من أهل إميســا، وترك سالوســتيوس دراســة الطب، وأتقن مهنــة الخطابة، حتى صــار خطيباً بارعاً أًعجب بالسوفســطائيين في عصره، ثم أُعجــب بالأفلاطونية المحدثة وتعلم على يد برقلس؛ ثم عاد إلى أثينا بعد استقراره في الإسكندرية هاجم الأفلاطونية المحدثة ومال إلى الكلبية وأسلوبها الزاهد في الحياة وسعيها نحو الفضيلة الحقة.

تظاهر سالوســتيوس بالعرافة والكهانة حيث أعلن أنه قادر على معرفة وكشــف الإنسان الصــادق مــن المخادع والكاذب دون أن يتحدث، وأيضاً إذا نظر إلى عين الشــخص وتأمل فيها يستطيع أن يحدد بأي طريقة يموت هذا الشخص.

ويقول ســيمبليقوس أن سالوســتيوس كان يضع فحماً مشــتعلاً على فخــذه، في محاولة منه لمعرفة كم من الوقت يُعد قادراً على تحمل الآلم، إيماناً منه بمبادئ الكلبية الصارمة في تحمل الألم للوصول إلى الفضيلة.

ويظهر هنا تأثر سالوستيوس بالهندوسية؛ ويبدو ذلك في وضعه الفحم المشتعل على فخذه أي إيلام البدن، رغبة في التحرر منه.

الخاتمة

لا غــرو في أن الحديــث عن المــدارس المنبثقة عن التيارات والأنســاق الفلســفية الكبرى والمــدارس العظمــى أنها تأتى ببعض من الأفــكار المركبة من تصــورات ورؤى متأثرة بثقافات محيطــة. الأمر الذى يمكننا الحكــم عليها بأنها مدارس توفيقية في الأغلــب، إبداعية في مواضع محدودة. ولعل هذا الوصف ينطبق على المدرسة الكلبية الرومانية.

(1) Malherbe, Abraham J., the Cynic Epistles; A Study Edition, Montana: Scholars Press, 1977.p.59.
58-Simplicius. On Epictetus Handbook 1-26, translated by Charles Brittain & Tad Brennan, Gerald Duckworth & Co. Cornell University Press. London 2002.ch.14.p168.

١- إن معظم ما أتى به أعلامها في شتى مراحل تطورها لا يخرج عن كونها رافداً من روافد المدرسة السقراطية التى تقدم الخطاب الأخلاقي الزاهد عن غيره من الخطابات الفلسفية (الوجود - المعرفة).

٢- إن الآثر البوذي الجيني لا يمكن إنكاره في كتابات الكلبيين الهللينستيين و يبدو ذلك في حديثهم عن التقشف والتربية العملية للنفس، و إهلاك البدن والجوع والانتحار والصمت، والرياضات الروحية.

٣- إن موقف الكلبيين من المرأة لا يختلف عن موقف معظم الهلليني والهنود، فهي نظرة إزدراء واحتقار ترد إلى الأساطير الهوميرية في المقام الأول.

٤- إن الأثر الرواقي على الكلبيين يبدو بوضوح في حديثهم عن وحدة الوجود وطبيعة الإله، فالوجود عندهم كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته بما في ذلك الإله.

٥- إن نقاداتهم للثقافات السائدة في عصورهم ترجع إلى زهدهم في المطامح والمطامع وعدم خوفهم من العقوبة أو الموت، فالصدق عندهم عقيدة تطبيقية يجب البوح بها، الأمر الذى جعل معظم معاصريهم اتهامهم بالجحود ونقض الآلهة والإلحاد والنقد اللاذع، شأنهم في ذلك شأن معظم آراء سقراط.

٦- إن دعوتهم للحرية تجاوزت التصورات السابقة عليهم، وذلك لأنهم اعتبروها شعوراً أو التزام داخلي، لا شأن له خارج النفس، فكثيرُ من العبيد يحملون نفس حرة غير مقيدة بالرذائل أو الشهوات، في حين أن هناك ملوك ونبلاء مكبلين بالمطامع والشهوات والرذائل التى استعبدتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر الأجنبية والمترجمة إليها

1- Diogenes Laertius..Lives of Eminent philosophers. Vol. 4 Translated by. R.D. Hicks, the loeb classical library, william Heinemann, Harvard university press New York, 1979

2- EPICTETUS. The Discourses as Reported by Arrian, 2 vols., trans. W. Oldfather, London, Heineman, 1926.

3- Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by. J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932.

4- DIO CASSIUS, Dio's Roman History, trans. E. Cary, Cambridge MA, Harvard University Press, 1968.....

5- Plutarchs, Moralia, vol.2 with An, English translation by. E. c. Babbitt. The loeb classical library.Harvard. University press London.1933.

6- PLUTARCH, Fall of the Roman Republic, trans. R. Warner, Penguin, Harmondsworth, 1985.

7- Philostratus, The life of Apollonius of tyana, the epistles of apollonius and the treatise of Eusebius, 2 vol, translated into English by. f. c. conyBeare, the Macmillan co. New York. 1912.

8- Lucian, Fugitivi,Translated: by. H.W.Fowler & F.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata,Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes.1905.

9- SENECA, Epistulae Morales, trans. R. Gummere, Vol II, Cambridge MA, Harvard University Press, 1962.

10- SENECA, De Finibus. The loeb classical library.Harvard. University press London.1962...

ثانيا: المراجع الأجنبية والمترجمة إليها

1-ADCOCK, F.E. Roman Political Ideas and Practice, Ann Arbor, University of Michigan Press, 1964.

2- Armstrong, A.H., «Hellenistic Philosophies (I). Cynics and Stoics», in: An introduction to Ancient philosophy, London: Metheun & Co ltd., 1965.

3- B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964..

4- Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D., London Methuen & Co., 1937.

5- Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. Akropolis. 2017...

6- FLEW, Antony (ed.) A Dictionary of Philosophy, London, Pan, 1979.

7- KOESTER, Helmut Introduction to the New Testament: Vol. I, History, Culture, and Religion of the Hellenistic Age, N.Y., Walter de Gruyter, 1987.

8- WIRSZUBSKI, C. Libertas as a Political Idea at Rome during the Late Republic and the Early Principate, Cambridge, CUP, 1950.

9- R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997..

10- W.K.C. Guthrie, A History of Greek Philosophy.vol. 3. Cambridge 1969.

11- B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964..

12- W. Matson: A New History of Philosophy, Fort Worth: Harcourt College Publishers, 1987.

13- Michel Onfray: Cynismen, Baarn: Ambo, 1992.

14- Malherbe, Abraham J., the Cynic Epistles; A Study Edition, Montana: Scholars Press, 1977.

15- Branham, Bracht, «Cynics», in: G. Edward (ed.), Routledge. Encyclopedia of Philosophy, London/New York: Routledge,p. 753-759

16- R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The

Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997..

ثالثا: المراجع العربية والمترجمة إليها

١- فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة. م اليونان وروما. ترجمة د، إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة عدد ٤٣٦. القاهرة ٢٠٠٢.

٢- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية.ك١.الفلسفة القديمة. ترجمة د/ زكى نجيب محمود. مراجعة د/ أحمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.٢٠١٠.

٣- ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني..ترجمة. إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة محمد حمدى إبراهيم. المركز القومى للترجمة.القاهرة.٢٠٠٨.

٤- وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.بيروت.١٩٨٧.

٥- د/ توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة.١٩٨٥.

٦- ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق.ترجمةعبد الحميد سليم.الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.١٩٨٥.